

روائع الأدب العالمي للمناشئين

قلعة الخطر



ماری ستيوارت



قلعة الخطر

تأليف: ماري ستيفارت
تبيح: سيليا تيرفي

ترجمة: صبرى الفضل
مراجعة: مختار السويدي



المجلة العربية للدراسات والبحوث

١٩٨٨



دَوَائِعُ الْأَدَبِ الْعَالِي لِلنَّاشِئِينَ

قَلْعَةُ الْخَطَرِ

المشرف على التحرير : مختار السويفى

الاخراج الفنى : انعام صالح

المؤلفة

مارى ستيورات هو أسم الشهرة لفلورنس رينبو ستيورات . وهى كاتبة انجليزية لقصص المغامرات الرومانسية ، ولدت فى ١٧ سبتمبر ١٩١٦ .

كتبت ١٤ رواية . . كلها لها شهرة عالمية . .

ومن بين أفضلها : أخى ميكائيل ١٩٦٠ ، شجرة اللبلاب ١٩٦٠ ، غزالو القمر ١٩٦٢ (مثلت فيلما ١٩٦٤) ، كلاب صيد جابريل ١٩٦٧ ، ثلاثية تشتمل على : كهف الكريستال ١٩٧٠ ، التلال الجوفاء ١٩٧٣ ، الافتتان الأخير ١٩٧٩ .
- المترجم -



الفصل الأول

وصلنا باريس وضوء النهار يخبو .. لم يكن
أحد في انتظارى بالمطار .

باريس ، يامسقط رأسى . لقد عدت ثانية بعد سبع
سنوات .. سبع سنوات .. انها أكثر من ثلث عمرى
.. وهانذا الآن ، فى صالة المطار الضخمة ، محاطة
بالفرنسيين وبالحديث باللغة الفرنسية ، فشعرت أننى
غريبة وكأننى فى أول زيارة لى لبلد غريب .

وبينما كان المسافرون الآخرون يتلقون الترحاب من
منتظريهم من أصدقاء وأقارب ، أخذت أبحث فى زحام
الوجوه الغريبة عن وجه أعرفه . ولكن كان هذا سخفا

.. فمن سيكون هناك لمقابلتي ؟ مدام دي فالى نفسها ؟
 لا ، بالطبع لا .. لقد أعطتني أجرة التاكسى في باريس ،
 ولم أتوقع منها أن تفعل أكثر من ذلك لأجل مربية
 جديدة . هذا هو ماكنته ، ومن الأفضل لى أن أتذكره .
 ذهبت لالتقاط حقيبتى التى كان مكتوباً عليها
 « الأنسة ليندا مارتن ، باريس » ، فارتطم رجل مسرع
 كان يمر بجانبى بذراعى ، فسقطت حقيبة يدي على
 الأرض .

قال باللغة الفرنسية :

— أوه مدموازيل ، أنا آسف جدا .. هل سببت لك
 أى أذى ؟

والتقط لى حقيبتى من الأرض وهو لا يزال يعتذر ،
 فأخبرته بعدم وجود أى أذى . فوجدت نفسى أتكلم اللغة
 الفرنسية ثانية بشكل طبيعى وكأننى لم أبتعد على
 الإطلاق . وعلى كل فغياب سبع سنوات لم يكن مدة
 طويلة لهذه الدرجة .

تابعت الرجل بنظرة محملقة وأنا أفر .. لابد أن
 أكون حريصة . هذا أمر آخر يجب أن أتذكره . فانا
 انجليزية .. انجليزية .. لقد كانت مدام دي فالى
 واضحة تماماً عندما أعلنت عن حاجتها لفتاة انجليزية .

ولقد تركتها معتقدة أن معرفتي بفرنسا وباللغة الفرنسية
ماهى الا مثل أية فتاة انجليزية عادية قد تعلمت بعض
اللغة الفرنسية في المدرسة . وكان يبدو أن هذا شيء
هام بالنسبة لتفكيرها . فقد أرادت منى ، كما قالت ،
أن أتحدث مع فيليب دائما باللغة الانجليزية حسن ،
لا يمكن لأحد أن يقول بأننى قد خدعتها ، لأننى حقيقة
كنت انجليزية ، فلقد كان أبى انجليزيا ، وأمى ربعتها
كان انجليزيا . . . لقد عشنا فى باريس حتى بلغت الثالثة
عشرة ، ولكن الآن تبدو تلك السنوات بعيدة وباهتة .

وكانت السنوات السبع الأخيرة فى انجلترا أكثر
واقعية بكثير . لقد قضيت خمس سنوات منها فى ملجا
للإيتام بشمال لندن ، والسنتين الأخيرتين فى مدرسة
للبنين ، حيث درست اللغة الفرنسية وقمت بأعمال
أخرى متنوعة .

كنت لا أشعر تماما بأننى انتمى لانجلترا . وبعد
مأساة وفاة والدى ، لم أرد أن أكون حياة جديدة لنفسى
فى بلد جديد . وكنت أقول لنفسى : فى يوم ما سوف
أعود الى فرنسا !

عثرت على تاكسى وأعطيت السائق اسم فندق
مدام دى فالى . وأثناء المسير فى شوارع باريس عبر

أمسية رمادية من شهر مارس ، استعدت ما كنت آلفه
من مناظر وأصوات وروائح ، وشعرت أنني في موطني
مرة أخرى . ولكن لا يجب أن أفكر في الماضي . ومن
الأفضل أن أفكر في الغد وفي قصر فالى . لقد صورته
في ذهني مئات مرات .

قلعة الحلم الساحرة الجميلة ، الرومانتيكية ، غير
الواقعية . وكانت تقع في الجانب الآخر من فرنسا ،
بالقرب من بحيرة جنيف ، تخيلتها بين الجبال
والغابات ، مثل صورة في كتاب قصص الأطفال .

ابتسمت لحماقتي ، فالذى سأذهب إليه منزل حقيقي ،
وليس قلعة في حلم رومانتيكي . والى وظيفة حقيقية لا
تختلف كثيرا عما كنت أعمله من قبل : مربية أو معلمة
خاصة لفيليب ، كونت دي فالى ، البالغ من العمر تسع
سنوات .

هأنذا سوف أصل الفندق ، وسوف تستقبلني مدام
دي فالى . مدام دي فالى التي كانت جالسة مشدودة
بلا حركة على كرسيها وتبدو جميلة في ملابسها الأنيقة .
وبدأت أرتب من شعري وأنا أسترجع في ذهني ما أستطيع
تذكره عن مستخدمي الجدد .

عندما تحدثت مع مدام دى فالى فى لندن ، أخبرتنى ببعض البيانات عن الأسرة . لقد كان كونت دى فالى العجوز ، جد فيليب ، ثريا واسع الثراء ، وعند وفاته قسمت أملاكه بين أبنائه الثلاثة ، ايتين وليون وهيبوليت . وآل الجزء الرئيسى من الثروة لائتين ، وهو قصر فالى والمنزل الذى يقع فى باريس ، ولليون ، الذى كان زوجا لمدام دى فالى ، عزبة فى جنوب فرنسا ، تسمى بلفين ، ولهيبوليت ، منزل كبير على ضفاف بحيرة جنيف يبعد بضعة كيلومترات قليلة من عزبة فالى . وفى هذا الوقت كان ايتين غير متزوج ، وكان ممثنا عندما عرض عليه أخوه ليون ، أن يبقى فى فالى ويدير العزبة له . وفضل ايتين أن يعيش فى باريس . وكان الأخ الأصغر ، هيبوليت ، عالم آثار ، فعندما لا يكون مسافرا فى الخارج فى عمله ، كان يعيش فى هدوء بمنزله فى ثونون .

ولقد مرت الأمور بهذا الشكل لبضعة أعوام . وبعدما تزوج ايتين ، فى سن متأخرة ، ثم أنجب فيليب بعد سنتين . ومكثت العائلة فى باريس حتى العام الماضى ، عندما بلغ فيليب التاسعة تقريبا . عندئذ المت به مأساة ، تماما مثل التى المت بى . لقد لقى والداه حتفهما فى حادث طائرة ، وهما فى طريق عودتهما من

عطلة بايطاليا . وبعد ذلك كان على فيليب أن يغادر باريس ، ليعيش مع عمه هيبوليت في ثونون .

كان هيبوليت لايزال غير متزوج . وقالت مدام دي فالمر :

- لقد كان مغرما دائما بالطفل . وبالطبع فالمر هي بيت فيليب الحقيقي ، ولكن هيبوليت أصر على أخذه الى ثونون في فيلا « أنا » . ويبدو أن فيليب أحب الإقامة هناك .

وباستماعي لهذا الصوت الهاديء البارد ، اعتقدت أن هيبوليت ربما كان على صواب . فهيلواز دي فالمر لم تبدو رفيقا مناسباً تماماً لولد في التاسعة من عمره . ولكن كان على هيبوليت أن يذهب للخارج أحيانا . ولم يمض على فيليب إلا بضعة شهور فقط في فيلا أنا عندما سافر هيبوليت الى اليونان . وكان سيبقي هناك لعدة أشهر . لذا اغلقت فيلا أنا ، وذهب فيليب الى فالمر ليبقى مع عمه وزوجة عمه .

ولم يكن لدى مربيته ، التي جاءت من باريس ، أي رغبة في البقاء في هذا الوادي الجبلي الهاديء . فاستقالت من وظيفتها وعادت الى باريس . فقرروا أن يأتوا بمربية انجليزية مكانها .

وكان هذا هو سبب وجودي هنا .. وهانذا أمر
عبر شوارع أعرفها .. وحدث عندئذ أمر غريب فقد
جالت بخاطري ذكرى فجائية .. سمعت صوت أمي في
رأسي ، وكانت تقول ، وأعتقد أنها كانت تقرأ في إحدى
الصحف :

- ليون دي فالمي .. ليون دي فالمي قد كسر ظهره
في حادث ركوب خيل ويقولون أنه سيقضى بقية حياته
على كرسي متحرك .. انه مشلول الآن ..

ثم جاء صوت أبي :

- أوه ؟ أني آسف لسماع ذلك ، ولو أنني كنت أود
أن يكون قد كسر رقبتك ، أنك تعرفين كم أكره هذا
الرجل .. انه للشيطان !

وخبت الذكرى مرة أخرى ، وتركتني عصبية
بعض الشيء هل لا يزال هناك شيء شيطاني بخصوص
ليون دي فالمي ، ياترى ؟

وسار التاكسي عبر شوارع باريس ..

الفصل الثانى

تقع بلدة ثونون الصغيرة شرق بحيرة جنيف على بعد حوالى ثلاثين كيلومترا ، على الشاطئ الجنوبى من البحيرة . وتأتى من بعدها بلدة ايفيلن المشهورة بينابيع مياهها المعدنية .

وبعد أن وصلت طائرتنا جنيف ، جاءتنا سيارة سوداء كبيرة من فالى . وحملتنا بكل راحة عبر الشوارع العريضة للمدينة ومنها الى جانب البحيرة ، ثم انحرفت شرقا فى اتجاه الحدود الفرنسية وTHONON . ولقد تحدثت معى مدام دى فالى قليلا جدا ، فى الرحلة من باريس . وكنت ممثلة لذلك ، لأننى لازلت لا أستطيع الشعور براحتى تماما معها . كما أن هناك

احساسا غريبا بالتباعد من ناحيتها ، الشيء الذى يجعلها صعبة للتألف ، فكان الحديث معها ليس بالسهل ، فأحيانا تسألنى سؤالا ، ثم تظهر عدم الاهتمام بالرد قبل أن أرد عليها .

استمرت السيارة فى المسير فى صمت . وعلى يسارنا تظهر البحيرة من خلف الأشجار ، وعلى يميننا ترتفع الجبال الثلجية ارتفاعا شاهقا خلف الحقول والغابات . لابد أن أحدها جبل مون بلان أعلى قمم الألب فى فرنسا . وتطلعت الى هيلواز دى فالى بجانبى لاستفسر منها ، ولكنى شعرت أن الوقت ليس مناسباً لأسألها .

كانت جالسة وعيناها مغلفتان . كان يبدو عليها التعب والقلق . انها على ما أظن ، فى حوالى الخامسة والخمسين من عمرها ، ومازالت امرأة جميلة ، بهذا النوع من الجمال الذى لا يتأثر بالسنين ، والذى كان جليا على تقاطيع وجهها ، بأنفها الطويل الرفيع وبجانبها المقوسين برقة . وكان شعرها فضيا ، ولكنه كان مرتبا بشكل بالغ الكمال ، أما بشرتها فكانت شاحبة صافية . فهي تبدو آخر أناقة ، ورقيقة أكثر من اللازم ، وكالقمر فى الوصول اليها .

كنت أجلس قابعة في ركنى بالسيارة ، وإمامى
الكتفين العريضتين لسائق المدام ، وكانت تجلس بجانبه ،
البرتين خادمة المدام ، ربعة ومتصلبة مثله .

لم أحب كثيرا ما رأيته من البرتين . انها امرأة
قائمة الوجه ، ربما في الخامسة والأربعين ، بعينين غير
صدوقتين ويدين دميمتين . لم تتكلم معى على الإطلاق ،
ولقد رأيته وهي تراقبنى بحمقة غاضبة . . كانت
تجلس الآن في سكون بجانب السائق . . كانا يبدوان
متلائمين تماما لبعضهما البعض حتى أننى كنت أسأل
نفسى اذا كانا متزوجين ، واكتشفت فيما بعد أنهما ،
في الحقيقة ، أخ وأخت . . كان لبرنارد السائق أخلاق
مثالية ، ولكنه كان يبدو أنه لا يتسم مطلقا .

عبرنا الحدود داخل فرنسا ، وبعدها وصلنا الى
ثونون . ويقع الجزء الرئيسى من البلدة مرتفعا فوق
البحيرة بشكل واضح . واستطعنا أن نرى من خلال
الأشجار بعض المنازل الكبيرة على شاطئ البحيرة .
فقال لى ، مدام دى فالى ، أن أحد هذه المنازل هى
فيلا أنا ، حيث يعيش هيبوليت ، الأخ الثالث فى أسرة
فالى .

وفي ثونون انصرفنا جنوبا في اتجاه الجبال ..
وصلنا بعدها بقليل الى واد ضيق ، حيث تقاطع الطريق
مع النهر مرتين . وظهرت صخور مرتفعة على الجانبين ،
وأصبح الوادي في الظل .

بدأ الطريق في الصعود ، ثم الصعود ، ثم جئنا عند
منعطف وظهرت أمامنا من بعيد حقول فالى الممتدة
تحت أشعة الشمس .

فقال مدام دي فالى :

— هذه سوبيرو .. هناك عند مرمى البصر . انها
قريتنا ، قرية عائلة فالى !

تقع قرية سوبيرو في غور أخضر عريض بين التلال
.. انها تمتد ساطعة في العراء والهواء المفتوح ، ببرج
كنيستها ، وجسورها الثلاثة ، ومصنعها الصغير
لصناعة الساعات .

**وقلت والسيارة تهبط القل مرة أخرى بين أشجار
كثيفة :**

— وفالى ؟ لابد اننا بالقرب منها الآن ؟
فقال :

- هذه هي غابات فالى على يسارك • انها تمتد
عائدة على معظم الطريق الى ثونون • ويحدد النهر
الحدود بين فالى وديدون العزبة التى على يمين الطريق
•• سنعبّر النهر حالا وعندئذ ••

وابتسمت ابتسامة فاترة وهى تكمل قائلة :

- سوف ترين فالى •

كانت تتكلم كالمعتاد بهذا الصوت البارد الواضح •

ولكنى فكرت فجأة :

- انها تحس بالحنين • انها تحب هذا الوادى
المنعزل • وتملكنى شعور مفاجيء بالعطف نحوها ،
فقلت بصوت عال :

- أوه ، مدام دى فالى ، انه لمكان جميل !

فابتسمت وهى تقول :

- نعم ، ألا ترين ذلك ؟ لقد كان بيتى لسنوات
عديدة ، ولايزال •

فقلت بعاطفة :

- صاحب المعيشة هنا ! اننى اشعر بذلك !

فقال بتصلب :

- آمل أنك تستحيينها ياآنسة مارتن .

ولم تكن تبترسم الآن ، ولكنها كانت باردة ومتباعدة مرة أخرى . فنظرت اليها بارتياح ، والتفت ثانية الى نافذتى اتطلع منها ، فرأيت القصر فى تلك اللحظة يظهر لى

كانت غابات فالى ترتفع بميل منحدر خلف النهر ،

وهناك من فوقها يقف قصر فالى ، مبنى مربع الشكل جميل من مباني القرن الثامن عشر . كيف وصلوا اليه ، انى أتعجب ؟! اذ يبدو أنه يطفو عاليا هناك فى ضوء الشمس ، فوق بحر الأشجار الداكن .

وأبطأت السيارة بعد ذلك وانعطفت مبتعدة عن الطريق الرئيسى ، صاعدة على جسر حجرى صغير جميل لعبور النهر . وبدأنا الآن فى صعود الطريق شديد الانحدار عبر الأشجار سائرين من منعطف الى آخر . فطريق فالى كان متعرجا . . ضيقا ، منحذرا ومخيفا بعض الشيء !

وخرجنا عن الطريق الى مسطح واسع من الأرض
المستوية أمام القصر ، مع حدائق معلقة ممتدة تحته •
واستدارت السيارة متأرجحة في انعطاف كبير ووقفت
أمام الباب الشمالى الضخم •

فقال مدام دى فالى بابقسامة صغيرة عند خروجنا
من السيارة :

- هانحن قد وصلنا !

انبهرت بانطباعى الأول للمبنى الكبير الرائع
بساحته الأملية المربعة ومدخله الكبير المقوس الذى يؤدى
الى الساحة الرئيسية •• وأكثر ما بهرنى هو الاحساس
بوفرة نور الشمس والفضاء المكشوف ونقاء الجو وكان
النور الذهبى لساعات آخر النهار فى كل مكان •• وكان
الهواء باردا وفى منتهى النقاء ، مفعما بالرائحة الحلوة
لأشجار الصنوبر ، مع نتف واهنة من الثلج على
فروعها • لقد أصبحت بالتأكيد على مسافة بعيدة من
ملجأ الأيتام فى شمال لندن •

تبعت مستخدمتى صاعدة السلم العريض ثم دخلنا
بهو القصر ••

الفصل الثالث

بدا بهو القصر هائل الاتساع ٠٠ وقد يرجع السبب في ذلك الى أنه مرتفع جدا وملىء بالظلال ٠٠

وجاءت امرأة نحونا لترحب بنا ، قدرت أنها مدبرة المنزل . كانت امرأة صلبة في حوالى الستين ، لها وجه صبور وصوت منبشرح وللمفاجأة ، لم يكن صوت امرأة فرنسية .

كانت مدام دى فالى تنظر اليها ومنها الى نهاية البهو ، وقالت مستفسرة :

— السيد ٠٠ هل هو بخير ؟

- أوه ، نعم يامدام .. انه كان .. أوه ، كما
أعتقد أن يكون .. مهتماً بما يدور ، ولديه الكثير من
الخطط !

لم يظهر على وجه مدام دي فالى نفس السعادة
التي ظهرت على وجه مدبرة المنزل ، وقالت مستفسرة :
- خطط ؟!

- نعم يامدام .. لقد كان يتحدث عن أعمال متنوعة
يريد أن تنفذ في المنزل وفي الحديقة . لقد أتى برجل
هنا الآن ليرى ما يجب عمله .. لقد صعدا ليلقيا نظرة
على البناء الحجري في الشرفة الغربية .

كانت مدام دي فالى تخلع معطفها بحركات سريعة
عصبية .

وقالت بحدة :

- هل تعرفين اذا كان قد أتته أخبار عن مسيو
هيبوليت ؟

- أعتقد ذلك يامدام . جاءت رسالة منذ أسبوع

التفتت مدام دي فالى نحوى وتحدثت باللغة
الانجليزية :

- آنسة مارتن ، مسز سيدون هي مدبرة المنزل
هنا . انها انجليزية ، وهكذا فلن تشعري بكثير من
العزلة . ان زوجها هو رئيس الخدم . هل جناح الآنسة
مارتن معد يامسز سيدون ؟

- أوه ، نعم يامدام .

وهزت مسز سيدون برأسها وابتسمت لى ، ثم
صعدت السلم ببطء وهى تتنفس بصعوبة .
التفتت مدام دى فالى وكأنها ستكلمنى ، ولكنى
رأيت عينيها تمران من عند كتفى !

- ليون .

لم أسمع شيئاً ، والتفت بسرعة . وحتى عندئذ
مرت لحظة قبل أن أرى الظل يفصل نفسه من الظلال
الأخرى وينزلج للأمام .

وبالرغم من أنى كنت أعرف ما اتوقعه ، اتجهت
نظرتى الى أعلى ، ثم نزلت . الى شخص على كرسى
متحرك كان ينزلج نحوى فى سكون .

شفقة ، فضول . الأحاسيس التى انبعثت داخلى ،
انقشعت جانبا مثل أوراق الشجر فى ريح قوية . لم يكن

ليون دى فالى هدفا لشفقة أحد . ولم تكن حالة شلله
التي ادهشتنى ، انه كان أفضل شكل رجل رأيته فى حياتى
.. لقد أضافت السنين فقط الى شكله الجميل فوق
العادة : شعره الرمادى مرتبط بشكل أخاذ مع عينيه
السوداوين وحاجبيه البارزين بشكل قوى .. وقمه
المرسوم بجمال له هذه المسحة الرفيعة القاسية تقريبا
والتي تحل محلها أحيانا رعشة ألم . وكاثت يداه
تبدوان ناعمتين ، وكأنهما لم يستخدمما بما فيه الكفاية .
وكان شامحا أكثر من اللازم . ولكن بالرغم من ذلك ،
لم يكن هذا رجلا مريضا ، انه كان سيد المنزل .

كان يبتسم الآن وهو يحيى زوجته ، وأضاءت
الابتسامة وجهه بشكل جذاب .. لم يكن هناك سبب
على الإطلاق يجعلنى أحس فجأة بأنى عصبية ، أو لماذا
كان على أن أتخيل أن صوت هيلواز دى فالى كان غير
طبيعى وهى تقدمنى له . فكرت ، وأنا أراقبها ، أنها
خائفة منه .. ثم قلت لنفسى بحدة الا أكون حمقاء ..

انحنيت قليلا الى أسفل لأصافحه ، وأنا حريصة
ألا أبدى أى علامة أندهاش أو جزع ، ولكن هذا كان
خطأ .

وسال بلطف وهو ينظر الى زوجته :

- هل حذرك منى ؟

فهزت زوجته رأسها ، وقلت فى حيرة :

- حذرونى ؟

- أقصد عن حالتى !

فقلت بسرعة :

- لقد أخبرتنى سيدة ماعن الحادث الذى أصابك .
اننى قابلتها على الطائرة من لندن !

- أوه ؟ صديقة لنا ، ربما ؟

- لا أعتقد ، ولكننا كنا نتجاذب أطراف الحديث ،
وعندما أخبرتها أنى قادمة الى هنا ، تذكرت أنها
قابلتك .

فسألت هيلواز دى فالى :

- ما اسمها ؟

- لم أعرف اسمها . انها عجوز ، وأعتقد أنها
قادمة من ليون ، أو شىء من هذا القبيل . لا أذكر .

فقال ليون دى فالى :

• ولتكن من تكون ، فأنا سعيد أنها أخبرتك
وتردد لحظة ، ثم أضاف قائلاً ببطء :

– لابد أنك تظنين بعض الأشياء الغريبة عنا
يا آنسة مارتن ، ولكنى أعتقد أن زوجتى لا تعباً بأن
تتكلم عن •• حالة شللى •• لذلك ، فمن المحتمل أن تصدم
الناس الذين يقابلونى لأول مرة •• وأنا نفسى •• حتى
بعد اثنتى عشرة سنة •• أخشى بشكل غير معقول
مقابلة أناس جدد وأرى الفزع فى عيونهم •• ربما
تعتقدين أننا حمقى أزاء ذلك •

لقد اندهشت تماماً بحديثه ، حتى اننى أجبت بدون
تفكير :

– لا ، أرجوك •• لا تعباً •• ان حالة شللك هى
آخر شئ قد يلاحظه أى شخص بالنسبة لك •• انها
حقاً كذلك •

وتوقفت فى فزع • ليست هذه هى الطريقة لمربية
جديدة أن تتحدث بها مع مستخدمها ! فقلت :

– أنا •• أنا آسفة • ما كان يجب ان اقول ذلك •
اننى قصدت فقط ••

– شكراً لك يا عزيزتى •

ورأيت وميضاً من الانشراح في عينيّه ، وهو يضيف
قائلاً :

- اننا مسرورين لترحّب بك في فالى يا آنسة
مارتن .

وبداً عندئذ يسألنى بعطف وحنان عن رحلتى
وتوقف احسباسبى بالضيق وعدم الارتياح . لقد بذل
كل طاقة سحره نحوى . . وأخذنا نتحدث ثلاثتنا لبعض
الوقت ، ونسيت كل متاعبى . كان مسيو ومدام دى فالى
زوجين رائعين ، وهذه هى بداية حبى للحياة في فالى
وللانتماء لعائلة مرة أخرى .

ولكنى لم أحاول أو أفسر ، حتى لنفسى ، لماذا
ادعيت كل هذه الأكاذيب عن المرأة التى التقيت بها في
الطائرة وأنها من مدينة ليون . أو لماذا لم تكن لدى
الشجاعة لأخبر ليون دى فالى ، أننى أتحدث اللغة
الفرنسية ، حتى أفضل مما يتحدث هو اللغة الانجليزية .
وعندما صعدت السلم لمقابلة مدبرة المنزل ، لاحظت
انه يحملق في . وسمعت وفهمت الكلام الذى قاله بصوت
خافت لزوجته :

- مهما كان يا هيلواز ، فمن الممكن أن تكونى قد
اقترفت غلطة كبيرة . . !

كانت حجراتى من أحلى الحجرات التى عشت فيها
.. كانت بها نوافذ طويلة مواجهة لناحية الغرب ،
وتفتح على شرفة ، ومنظر طبيعى ممتد عبر الوادى .
فخرجت مباشرة الى الشرفة ، ووقفت مستندة على
الحافة الحجرية ، وتطلعت الى أسفل على قمم الأشجار
وتعرجات الطريق .

وقالت مسز سيدون :

— ان الشرفة ممتدة بطول المنزل . وهذه الحجرات
في نهايتها ، خصصت لتكون جناحا للأطفال ، وهى تفتح
على بعضها البعض . هذه هى حجرة الجلوس الخاصة
بك .. والآن سأريك حجرة نومك .

كانت أحلى وأحلى من حجرة الجلوس .. وأرتنى
بابا يكاد يكون مخفيا في الحائط ، وقالت :

— هذا هو الباب/الى الحمام ، وحجرة نوم السيد
فيليب ، تفتح عليه من الجهة الأخرى . انك تشاركين
الحمام معه .. أمل ألا تتضايقى من ذلك ؟

لقد كنا فى ملجأ الأيتام نقف صفا لدخول الحمامات ،
فقلت :

— لا ، أبدا !

وعبرنا الحمام الى مطبخ صغير ، يقع خلفه مباشرة
وبه موقد كهربائى فقلت :

— انه حديث جدا ، اليس كذلك ؟

— نعم ، لقد ادخلت الكهرباء عندما ولد مستر
راؤل . وكان هذا جناحا للأطفال دائما ، فالسيد
وأخوته أيضا قد تربوا ، وعاشوا هنا .

فسالت :

— مستر راؤل !؟

— ابن السيد . انه يعيش فى بلفين . انها عذبة السيد
فى جنوب فرنسا .

— نعم ، عندى علم بالعذبة . ولكنى لم أعرف أن
للسيد ابنا . ان مدام دى فالى لم تحدثنى كثيرا .

— ان مستر راؤل ليس ابن المدام ، كما قد يتبادر
لذهنك . فالسيد كان متزوجا قبل ذلك . . وام مستر
راؤل ماتت من اثنتين وعشرين سنة ، عندما كان فى
الثامنة من عمره . ولقد تزوج السيد ثانية منذ ستة

عشرة سنة ، ومضت اثنتا عشرة سنة على الحادث الذي وقع له .

– لقد عرفت ذلك . هل كنت هنا في ذلك الوقت ، يامسر سيدون ؟

– أوه نعم ، لقد كنت هنا . لقد أتيت الى هنا منذ اثنتين وثلاثين سنة ، عندما تزوج السيد لأول مرة .

جلست على حافة السرير وتطلعت اليها باهتمام ،
وقلت :

– اثنتان وثلاثون سنة ؟ ان هذا لعمر طويل ! هل أتيت مع مدام دي فالى الأولى ، اذن ؟

– بالضبط . انها كانت من شمال انجلترا ، مثلى
أنا !

فقلت في اندهاش :

– اذن فهى كانت انجليزية ؟

– نعم ، طبعاً . كانت فتاة جميلة ، أنسة ديبى .
لقد كنت في خدمة منزلها ، منزل عائلتها منذ أن كانت فتاة صغيرة . وقابلت السيد في باريس في احدى فصول

الربيع ، ثم تزوجته بعدها بشهرين . . . وأرادتني أن
آتي معها الى هنا ، وقالت بأن زوجي يستطيع أن يأتي
كرئيس للخدم .

— وعندما توفيت سيدتك ديبى ، ألم ترغبى فى
العودة الى انجلترا ؟

— حسن . . ان كلينا مرتاح هنا ، كما ترى .
بالإضافة الى أنني منذ طفولتى وأنا مصابة بأزمة ربو
وكانت حالتى الصحية سيئة فى انجلترا ، ولكنها أفضل
بكثير هنا فى هواء الجبل .

— هذا بالإضافة لوجود ابن سيدتك ديبى ، أليس
كذلك ؟ وبالطبع أردت البقاء لرعايته ؟

— أوه ، لقد أتوا بمربيات فرنسيات لمستر راؤل
وكان طفلا هادئا أيضا . . مثل السيد فيليب هنا ،
هادىء جدا ، ولا يثير أية مشكلة . أنه مختلف جدا
الآن ! آه ، حسن يا آنسة ، انه نصف أجنبى ، أليس
كذلك ؟

وانتظرت فى شغف ، ولكنها لم تستمر فى حديثها .
وبدلا من ذلك قالت :

— ان كان لى حق فى السؤال ، هل تذكرين أبويك ؟

— لقد كنت في الثالثة عشرة من عمري عندما قُتلا
.. في حادث طائرة ، مثل والدي فيليب . أظن أن المدام
قد أخبرتك بأنني كنت في ملجأ للأيتام بانجلترا ؟ ..
يسمونه دار الفتيات .

— نعم ، حقا . لقد كتبت أنها سمعت عنك من
صديقتها ، ليدى بنشلي ، التي تأتي الى ايفيان كل
سنة .

— نعم ، ليدى بنشلي كانت إحدى المربيات
المسؤولات في « الدار » ، وكانت تهتم اهتماما شديدا بكل
البنات . وعندما حصلت على وظيفة في مدرسة بنين
وجدت أن لها ابنا هناك . وجاءت تتحدث معي في يوم
الزوار ، فأخبرتها بأنني أكره المكان . فقالت عندئذ أن
صديقة لها كانت تبحث عن مربية لابن أخي زوجها ..
وعندما سمعت أن الوظيفة في فرنسا فرحت جدا . فأنا
.. أنا .. أردت دائما أن أعيش في فرنسا . وذهبت
الى لندن في اليوم التالي ، ورأيت مدام دي غالمى .

لقد كانت منهمكة في البحث عن فتاة لهذه الوظيفة
خلال الفترة القصيرة لوجودها في لندن ، حتى أنها لم
تسألني كثيرا عن بياناتي الشخصية وتاريخ حياتي .

لقد أخبرتها أن والدي الاثنين لقياً حتفهما ، وليس لدى أقارب آخرون ، ليهتموا بأمري .

فقالت مسز سيدون :

- لقد سر السيد جدا عندما وصل خطاب المدام وفيه كلام عنك . ولكن كقاعدة فهو يكره التغيير في المنزل . لذلك اندهشنا كلنا عندما أعفيت مربية السيد فيليب من وظيفتها بعد وجودها مع العائلة كل هذه السنوات ، وقالوا أن فتاة جديدة ستأتى من انجلترا .

- أوه ، نعم . . . أخبرتنى مدام دى فالى عنها . ولكنها لم تعفى من وظيفتها ولم تطرد بالتأكيد ؟ لقد فهمت أنها لم ترغب فى أن تعيش فى فالى .

فقالت مسز سيدون بحزم :

- أوه ، لا . لا بد أنك أسأت فهم ما قالت المدام . . . كانت المربية مغرمة بالسيد فيليب جدا ، وكاد يتحطم قلبها ، عندما أجبرت على الذهاب .

- أوه ؟ كنت متأكدة أن المدام قالت أنها قد رحلت لأن المكان منعزل جدا بالنسبة لها . لا بد أننى أخطأت الفهم .

تأهبت مسز سيدون للذهاب . وبدأت أفرغ حقيقتي
.. فتوجهت هي الى الباب ، ثم ترددت وقالت :

- السيد .. يبدو أنه ظريف معك ، أليس كذلك ؟

- ظريف جدا . لقد جعلنى أشعر بالاطمئنان .

- هكذا اذن ؟ انه صعب مع الغرباء غالبا .

- أعتقد أنه أحيانا ما تكون نفسيته سيئة . هل
يأسف لحالته في بعض الأوقات ؟

- يأسف لحالته ؟ ليس هو ! ليس بسبب بسيط مثل
كونه مشلولاً مدى الحياة ! ولا يوجد شيء تقريبا لا يقدر
على عمله . فلديه كرسيه الكهربائي والمصعد والتليفونات
في كل مكان ، وعنده برنارد ليذهب من أجله الى كل
مكان .. ولكن عندما يأتى راؤل هنا ، يذكر السيد بأنه
مشلول وعاجز !

فقلت مصدومة :

- يذكره ؟

- أوه ، لا عن قصد . ولكن .. حسن ، لعل مستر
راؤل هو السيد مثلما كان منذ عشرين سنة مضت .

— أوه ؟ انه يفعل كل الأشياء التي اعتاد والده أن يحب فعلها ؟ .. ركوب الخيل ، مثلا ؟

فتطلعت باندعاش وقالت :

— هل أخبروك عن ذلك ؟

— لا ، أنا .. سمعت ذلك من أناس يعرفونهم .

— أوه ، نعم كان يحب الرياضة .. جميع أنواع الرياضة : ركوب الخيل والموتوسيكلات وسباق الزوارق والسيارات ، وكانت الخيل هي الشيء الرئيسي .

— والآن ما عليه الا أن يجلس ويراقب ابنه وهو يركب ؟

فقالت مسرّ سعيديون :

— أما بالنسبة لذلك ، فمستقر راؤول ليس لديه المال .. والا لسار على منوال أبيه ، وعلى كل فهو لا يأتي الى هنا كثيرا . ولكن في كل مرة توجد مشكلة بسبب النقود .

كنت أفكر أنه اذا كان راؤول دى فالى ، في الحقيقة نسخة أصغر من أبيه ، فهو في نفس الوقت يزور فالى نادرا . لم أستطع أن أتخيل اثنين من ليون دى فالى

مرتاحين سويا في نفس المنزل . وعند التفكير في ليون ،
جاءتني لحظة قلق وعدم ارتياح ولكن ماذا هناك ليسبب
ذلك !!؟ ذكرى عمرها اثنتا عشرة سنة ، وشعور
بشخصيته القوية يداعباننى لا لشئ الا لاثارة قلقي .

وخطر ببالي عندئذ ، غياب شخص واحد عن
الترحاب بقدمى الى قصر فالى . كان هذا هو مالك
القصر كله ، أهم شخص في عائلة فالى . مسيو
الكونت فيليب ، فسألت :

ـ أين السيد فيليب يامسز سيدون ؟

ـ من المحتمل أن يكون في حجرة الدراسة ، في
الجانب الآخر من حجرة الجلوس . ولكن المدام قالت
لاداعى أن تزعجى نفسك معه الليلة . والآن لابد لى أن
أذهب .

وفتحت مسز سيدون الباب وقالت :

ـ سوف تحضر بيرث الشاى . انها الفتاة التى
تخدم على هذه الحجرات .

وذهبت مسز سيدون أخيرا ، حسن ، هناك شخص
في المنزل يحب الحديث !

وسرت عبر حجرة الجلوس ، وطرقت بلطف على
باب حجرة الأطفال ، وفتحتها .

الفصل الرابع

كان أول تفكير لى هو أنه ليس بصبي جذاب ..
كان صغيرا على سنه ، برقبة صغيرة نحيفة تحمل رأسه
المستدير بشعره الأسود . كانت عيناه سوداوين
وكبيرتين جدا ، ووجهه كان شاحبا وانتصب على قدميه
ببطء ، فقلت باللغة الإنجليزية :

- اننى الآنسة مارتن . لابد أنك فيليب !

فاومأ برأسه وبدأ عليه الخجل . ثم تذكر مركزه
فمد يده قائلا :

- مرحبا بك يا آنسة مارتن .

كان صوته ضئيلا رفيعا مثله . وخطرت الفكرة لى
ثانية بحدة وأنا أصافحه ، فكرة أنه هو صاحب ومالك
غالى .

وحملق فى اللحظة ، ثم قال :

– هل ستعلميننى حقا اللغة الانجليزية ؟

– نعم !

فقال :

– انك لا تبدين كمربية .

– اذن لابد أن أحاول أن أبدو كذلك .

– لا ، أنا أحبك كما أنت . . فلا تتغيرى .

فضحكت وذكرنى فيليب الآن بعمه ، وقلت :

– أشكرك يامسيو الكونت .

وبرقت عيناه السوداوان بوضوح وهو يقول :

– هل ستعطينى درسا غدا ؟

– اتوقع ذلك . من المحتمل أن تخبرنى زوجة عمك
الليلة .

- هل رأيت ٠٠ عمى ؟

ولاحظت أن هناك تغيرا طفيفا في صوته الضئيل
الرفيع ، فقلت :

- نعم !

كان واقفا ساكنا تماما بطريقة غير طفولية ، فادركت
فجأة بأن وظيفتي لن تكون وظيفة سهلة ٠ ولكن من
الواضح أنه لن يكون صعبا في التحكم وفي السيطرة
عليه ٠٠ ولكن اليس لى أن أعرفه أولا ؟

واستقرت حياتى فى فالى بعد ذلك على نمط بسيط ٠
تصل كل صباح مدرسة فيليب الخصوصية وتعطيه
دروسا ، حتى موعد الغداء ٠ وعندما تنتهى أعمالى
المختلفة حول حجرة الدراسة ، أصبح حرة فى أن أفعل
ما أريد ٠ فأشغل نفسى بسعادة فى اكتشاف الحقائق ،
أو فى القراءة التى أحبها ٠

ومكتبة القصر تحتوى بالطبع على كتب انجليزية ،
ولكن حيث أنها كانت حجرة مكتب ليون دى فالى
الخاصة ، فلم أطلب الاذن باستخدامها ٠ وكان فى حجرة
الدراسة أرفف كثيرة تزخر بالكتب الانجليزية والفرنسية
٠٠ وعندما أقرأ باللغة الفرنسية ، فأنى أقرأها سرا ٠

وذات مرة ضبطت مقلبة • كنت أقرأ كتابا فرنسيا
في حجرة نومي ، وكنت مستغرقة جدا في القصة ، فلم
أسمع الطرق الذي على باب • وجاءت بيرث الخادمة ،
لتنظيف الحجرة • ولم تلحظ شيئا ، ولكني لعنت نفسي
وقررت أن أكون أكثر حرصا • وتمنيت للمرة المائة لو
أنني لم أبدا مطلقا هذا الادعاء السخيف •

لم أعد أعتقد أن يعترض أحد على ذلك ، فلقد
أصبحت أنا وفيليب على وفاق تام ، وبدأت مدام دي
فالتي أنها تحبني • ولكني كنت لا أريد أن تعرف أنني
قد خدعتها • وكما هو الحال مع كل خدعة ، ينمو الأمر
ويكبر ، يوما • ولحسن الحظ أنهما في حضوري كانا
يتكلمان دائما بلغتهما الانجليزية الممتازة •

وعند بعد الظهر من كل يوم ، كنت أذهب في جولة
مع فيليب ونبدأ في « محادثتنا الانجليزية » • وكنت
غالبا ما أتكلم عن الأشياء التي نراها من حولنا ، ولكن
اجاباته كانت قليلة • وأعتقد أن خجله الطبيعي قد نجم
عن فقدان المفاجيء لوالديه • وامتنعت عن محاولة
سبر أغواره والتعرف على شخصيته ، فلم أرغب في أن
أقحم نفسي في عالمه الخاص •

ولم يكن خجله نحوى أنا فقط . . ففى كل مساء
عند الخامسة والنصف ، آخذه وننزل الى حجرة
الجلوس الصغيرة ، حيث نتحدث زوجة عمه معه لمدة
نصف ساعة . . كانت المحادثة صعبة ، جامدة وغير
طبيعية ، ولكن فيليب كان يجيب على الأسئلة بأدب
ولا يسأل أى سؤال مطلقا ، أو يبدي أية ملاحظة خاصة
به .

لم يحضر عم فيليب ذلك اطلاقا . وفى البداية
وضعت اللوم عليه لقلة اهتمامه بالصبي الصغير
الوحيد ، ولكنى أدركت بعد ذلك أنها ليست غلطته وحده
. . فقد كان فيليب يتجنبه تماما .

ولم يظهر لى أى سبب مقنع لهذا النفور . ففى
المناسبتين أو الثلاث خلال أسبوعى الأول التى التقينا
فيها مع مسيو دى فالى ، كان لطيفا جدا مع فيليب .
وسأله :

— فيليب ، لماذا تتجنب عمك ليون ؟

فظهرت على وجهه نظرة جوفاء ، وقال باللغة
الفرنسية :

— لا أفهم !

- انجليزى .. من فضلك . وانت تفهم جيداً
تماماً . انه طيب جداً معك . ولديك كل شيء تريده ،
أليس كذلك ؟

- نعم ، كل شيء أريده ، عندي .. ولكنه لا يعطيه
لى .

- من اذن ؟ هيلواز زوجة عمك ؟

فهز رأسه وقال :

- انها ليست أملاكهما ليعطيانها لى . انها كانت
لأبى ، والآن فهى لى .

فتطلعت اليه ورأيت البريق فى عينيه السوداوين .
نعم ، انه الكونت دى قالمى .

- طبعا انها أملاكك . وهو يحتفظ بها من أجلك .
انه الوصى عليك ، أليس كذلك ؟

فبدت عليه الحيرة ، وقال :

- وصى ؟ أنا لا أعرف هذه الكلمة !

- انه يحافظ على قالمى الى أن تكبر . ثم تحصل
عليها أنت .

- هل كلمة « وصى » تعنى ذلك ؟ اذن عمى هيبوليت
وصى أيضا . فعمى ليون يحافظ على الممتلكات ، وعمى
هيبوليت يحافظ على أنا . . . لقد سمعت أبى يقول . .

وبدا يتكلم باللغة الفرنسية :

- . . « ليون سوف يشرف على المكان ، فنحن
نتق فيه على ذلك » . وأمى قالت : « ولكن هيبوليت يجب
أن يأخذ الولد اذا حدث أى شىء لنا . أنه لا يمكن أن
يترك لليون . » هذا ما قالته أمى !

وتوقف وهو يغلق فمه بإحكام على الكلمة . لقد
لاحظت من قبل أنه لم يتحدث مطلقا عن والديه . .
واضاف قائلا :

- وددت لو أنى لم أترك عمى هيبوليت . . لقد
ذهب الى اليونان . أردت أن أذهب معه ، ولكنه لم
يستطع أن يأخذنى معه !

- سوف يأتى قريبا .

- نعم . ولكنه وقت طويل .

فقلت :

- سيمر ، واثناء ذلك سوف اهتم بك واحافظ عليك
وعمك ليون سوف يرعى فالى . انه يقوم بذلك جيدا ،
كما تعرف .

وهكذا حقيقى . فيبدو لى أن ليون يقضى كل وقته
حقا ، وكل ذاته ، من أجل هذا المكان . ويوما وراء يوم ،
والكرسى المتحرك يسير حول الشرفات والحدائق
الرسمية وحدائق المطبخ والجراجات . . وكل مكان
يستطيع أن يذهب اليه الكرسى المتحرك .

وفى نهاية الأسبوع الثانى لى فى فالى ، حدث امر
جعلنى أفهم موقف فيليب .

كنت أنا وفيليب قد نزلنا للقائنا المعتاد فى الخامسة
والنصف مع مدام دى فالى ، فى حجرة الجلوس الصغيرة
. . وكانت تصرفنا بانتظام فى السادسة ، ولكن اثناء
انصرافنا نادى على لأمر ما .

وبعد دقيقة أو أكثر قليلا غادرت الحجرة . كان
فيليب واقفا ، يبدو عليه الشعور بالاثم والبؤس ، بجانب
منضدة خارج الباب . وكان يوجد على كل جانب من
المنضدة كرسى صغير جميل بمقعد من الحرير الأصفر .
وعلى مقعد أحد الكراسى رأيت عندئذ خطا سميكا من
الحبر ، كما لو أن قلما قد تدحرج من المنضدة على

الكرسى . لقد كان فيليب يكتب لعمه هيبوليت وقد وضع
القلم مفتوحا على المنضدة قبل الذهاب الى الحجرة . . .
انه يمسك بالقلم الآن ويحملق بوجه أبيض فى عمه .

كان يبدو صغيرا أمام الكرسي المتحرك ، كما كان
يبدو آثما مستسلما بلا دفاع . وكان عمه يتكلم بصوت
غاضب مخيف :

- انك تأتى مرة واحدة فقط فى اليوم لهذا الجزء
من المنزل ، ومع ذلك يبدو أنك لم تعرف بعد كيف تتصرف
مثل أى شخص متحضر ! . . ربما فى بيتك فى باريس
كانوا يسمحون لك أن تتصرف بهذه الطريقة الهمجية ،
ولكن هنا . . .

فقال فيليب بصوته الضئيل :

- هذا بيتى . .

ثم أضاف بصوت منخفض أكثر ، ولكنه واضح
جدا :

- وهذا كرسى !

ونشأت لحظة صمت رهيب . وجاء شىء ما فى وجه
ليون دى فالى وذهب . وأخذ فيليب خطوة الى الخلف ،
وأسرعت خارجة من المدخل .

وتطلع ليون دى فالى نحوى ورآنى ، ثم تكلم مع
فيليب بهدوء ، وكان غضبه لم يكن :

— عندما تستعيد هدوء أعصابك وأدبك يا فيليب ،
سوف تعتذر على كلامك هذا .

وارتفعت العينان السوداوان الى ، وقال ببرود ،
ولكن بأدب شديد :

— آه ، أنسة مارتن . مع الأسف ، لقد وقع حادث
بسيط . علك تأخذين فيليب الى جناحه وتقنعيه أن الأدب
أحد خصال السادة الرجال .

فنظرت الى وجه فيليب الأبيض ، وقلت :

— لا حاجة لذلك ، فهو سيعتذر الآن .

وأخذته من كتفيه وأدرته ليواجه عمه . كان ينتفض ،
فقال فى صوت رفيع :

— أستسمحك عذرا اذا كنت قد أسأت الأدب .

وتطلع ليون دى فالى منه الى ، وقال :

— حسن جدا ، لقد نسيت هذا • والآن سوف تأخذك
الآنسة مارتن لتصعد الى اعلى •

واثناء زهابنا كنت شاعرة جدا بهذا الشاخص
الكسيح الصامد الجالس هناك يراقبنا ••

بعد ذلك ساعدت فيليب على أن يبتعد عن طريق
عمه •

الفصل الخامس

استمر جو الربيع في روعته .. وكانت التلال
مازالت مغطاة بالثلوج ولكن الوادي كان سـنـدسيا
أخضر ، وفي كل يوم كان يزداد أخضرارا .. !

بعد ظهر كل يوم كنت أنا وفيليب نخرج لتريضنا
المعتاد . ويبدو أن هواء الجبل جاء على هواه ، فاسترد
وبجهه الشاحب لونه . بل وكان يضحك ويجري قليلا هنا
وهناك .

وكانت إحدى تمشيائنا المعتادة هبوط مسار منحدر
الى قرية سوبيرو .. وكان أفراد الأسرة يطلبون منا

غالبا شراء بعض الحاجيات • ويبدو أن هناك دائما شيئا ما لابد أن نحضره من الصيدلية !

وفي صباح أحد الأيام •• وكان الأول من شهر ابريل •• توجهت مع فيليب الى القرية بعد الافطار مباشرة • وكان اليوم الاثنين ، وكقاعدة ففى يوم الاثنين يأتى قس سوبيرو الى القصر ليدرس للكونت الصغير دروسا فى اللغة اللاتينية واليونانية والدين •• ولكن القس كان قد أصيب فى ساقه ، ولكى لا يضيق فيليب دروسه ، أخذته نازلة به الى منزل القس ، وتركته هناك •

وكانت هذه أول مرة أكون فيها وحيدة فى القرية •• فوقفت فى الميدان الصغير خارج الكنيسة ، ونظرت الى المشهد الآمن الذى يشعطمأنينة من حولى • كان قلبى خفيفا من السعادة •• يكاد يطير •• كان صباحا جميلا ، وكنت خالية •• حرة •• طليقة لمدة ساعتين ، ومعى بعض النقود فى جيبي • وبدت ظلال ملجأ الأيتام تختفى وتتلاشى فى نور شمس الجبل الساطعة !

مشيت الى الصيدلية • لقد عرفنى الصيدلى جيدا بعد ترددى عليه ، ولكنى لم أرتح لمقابلته مطلقا •

واخترت بعض قطع الصابون المعطرة لنفسى ،
أثناء ذلك كان الصيدلى يتطلع الى بوجه عابس ، فقلت :

- مدام دى قالى طلبت منى أن أحصل لها على
دواء القلب الخاص بها وكذلك الأقراص المنومة .

- حسن جدا .. هل لديك الروشنة ؟

- الروشنة ؟

فكرت ببطء ، وكأنه يوجه كلامه لطفلة صغيرة :

- لا بد .. أن يكون .. معك .. روشنة .. من
الـ .. طبيب ..

- أوه : لا أظن أنها أعطتنى روشنة . هل يمكن لى
أن أحضرها المرة القادمة ، مسيو ؟ لقد طلبت المدام
شراء هذا الدواء بشكل خاص .

- لا ، لا أستطيع أن أعطيك الدواء بدون روشنة .

وكان من المستحيل اقناعه . فأخذت أتابع قائمة
الأشياء الأخرى المطلوبة منى ، واضفت قائلة :

- ودواء الربو لمسز سيدون ..

فقال الصيدلى :

- لقد أخذته الأسبوع الماضي .
- لا أظن ذلك ، انها وضعت في قائمة اليوم .
- أعرف أنك أخذته . ربما نسيت أن تعطيه لها .
- انها لم تعطك الروشتة ، اليس كذلك ؟
- لا أذكر .. أوه ، هاهي ، في حقيقتي !
- فنظر اليها وقال في شماته :

- انها ليست لمدام سيدون . انها لمدام دي فالى .
- دواء القلب الخاص بها ..

فابتسمت له قائلة :

- أوه ، فهي معي طول الوقت ! اذن يمكنك أن
- تعطيني الدواء على كل حال .
- وبدلا من أن يرد الابتسامة ، رمقني بنظرة غريبة ،
- وقال :

- نعم . هاهو .. ولا بد أن أهنئك على طريقة
- تحسن لغتك الفرنسية يا مدموازيل .

فقلت :

- شكرا مسيو ، انى أبذل كل جهدى وأدرس كل يوم . وقريبا سوف تنسى انى انجليزية .

فكرر صوت رجل من خلفى مباشرة الكلمة مستفسرا :

- انجليزية ؟

فنظرت خلفى مندهشة . كان يقف فى مدخل الباب شاب ضخم ، وظله يملأ المحل . وجاء نحوى ، وقال :

- معذرة ، لكن هل أنت انجليزية حقا ؟

- نعم .

- أوه ، أنا .. أنت نجدة من السماء !

وأرخى بصره على بخجل . فرأيت عينين زرقاوين فى وجهه لفحته الشمس ، وشعرا أشقر غير مرتب وكثيفا وتساعل الشاب قائلا :

- اتساعل .. هل يمكن أن تساعدينى ؟ لدى قائمة طويلة من الأشياء أريد الحصول عليها ، ولا أتكلم اللغة الفرنسية . ويبدو أنك تتحدثين بها جيدا .. !

فابتسمت قائلة :

- بالطبع سأساعدك .. لابد أنك شجاع لتأتى فى
إجازة هنا بدون أن تعرف اللغة الفرنسية .

- إجازة ؟ أنا هنا فى عمل .

فنظرت الى قائمته ، وقلت :

- يبدو أنه عمل خطر ، اذا أنت تحتاج لكل هذه
الأدوية والضمادات !

فضحك وقال :

- ما أنا الا مهندس غابات .. انى معسكر فى كوخ
فى الغابة على ارتفاع ألف ومائتى متر ، ولذلك فكرت أن
أحصل على بعض الأشياء فى حالة حدوث أى حادث أو
مرض .

حملت فى الجسم الصلب الضخم الواقف بجانبى .
انه بكل تأكيد لا يبدو رقيقا ، وقال :

- الشيء الوحيد فى القائمة الذى سأحتاجه بالتأكيد
هو آخر واحد . وأستطيع أن أطلبه بنفسى اذا اقتضى
الامر .

- براندى ؟ نعم ، بالتأكيد تستطيع ذلك .

والتفت الى الصيدلى وأخذت أتابع القائمة ببعض
الصعوبة . ودفع الشاب الانجليزى ثمن مشترياته
والتقطت أشياء واستدرت للانصراف . وعندما وصلت
الى الباب ، قال الصيدلى بصوته البارد الرخو :

— لقد نسيت دواء القلب لدام دى فالى .

ومد يده باللفافة لى . وكان وجهى أحمر عندما
لحقت بالشاب الانجليزى .

وبادرنى بابتسامته الخجولة قائلاً :

— مازال على أن أشتري البراندى . ترى هل
ستساعدنى فى شراء ذلك أيضا ؟

— قلت أنك تستطيع أن تطلب ذلك بنفسك .

— أنا .. حسن ، أمل أن تأتى معى ودعيني أدعوك
على شراب ، لأشكرك على ما أسديته لى من معروف ..
أرجوك .. !

فقلت :

— اننى مستعدة لذلك .. فلا مانع !

كانت المقهى مجاورة للصيدلية . فجلسنا فى الشمس

على احدى الموائد خارج المقهى ، وطلبنا قهوة ، وقال
رفيقي :

- اسمى بليك . وليم بليك .
- اسم لطيف . . تشرفت بمعرفتك ، واسمى ليندا
مارتن . .
- لو حق لى السؤال . . ماذا تفعلين فى سوبيرو ؟
- انا هنا فى عمل أيضا . . اننى مربية .
- طبعاً . لابد انك الفتاة الانجليزية من فالى .
- نعم . . سمعت عنى ؟
- كل شخص يعرف كل شخص آخر هنا . . على
اية حال انا جار قريب . . اننى اعمل فى العزبة
المجاورة .

فقلت باهتمام :

- أوه ، ديودون ؟
- هى . مالکها يقضى معظم وقته فى باريس أو
الجنوب . ومثل مستخدمك ، فهو يحصل على كثير من
دخله من أشجاره ومزارع كرومه .

- - مزارع كروم ؟ لا توجد مزارع كروم في فالمل
- - لا ، ولكن هناك عزبة في الجنوب على ما أعتقد
- - نعم بلقين • ولكن هذه من أملاك مسيوى دى فالمل الخاصة • وبالتأكيد لن ينفق دخلها على فالمل
- - حسن ، الناس تقول أن معظم دخل بلقين كان يأتى الى هنا حتى بضعة سنين مضت ، كانت توجد وفرة من المال ، على أية حال

فقلت :

- - وهل لايزال ، أو هكذا يبدو
- - نعم ، سمعت أن الأمور تتحسن ثانية
- ونظر الى ، وأضاف قائلاً :**
- - مربية • انها حياة رهيبة ، اليس كذلك
- - ممكن أن تكون كذلك • ولكنى أحبها • أحب فيليب • • تلميذى • • وأحب المكان
- - ألسنت وحيدة • • أقصد بعيدة عن الوطن • • ؟

فضحكت قائلة :

- وطنى فى انجلترا كان خمس سنين فى ملجأ
الايتم . وفالى عبارة عن مغامرة غريبة بالنسبة لى !

- أعتقد ذلك . هل هذا ما تريدينه ، مغامرة ؟

- طبعا ! من لا يريد ؟

فقال مستر بليك بحزم :

- أنا لا أريد !

- وما الذى جعلك تأتى الى هنا ؟ احكى لى عن
عملك .

- لا يوجد ما يستدعى أن أحكيه .

وفعلا فليس هناك الكثير ليقوله . فحياته سارت
على وتيرة منتظمة . بيت طيب ومدرسة مناسبة ،
وسنتين فى الجيش ، ثم الجامعة . . . وبعدها القرار فى
الذهاب لدراسة خاصة ، مدتها سنتين ، فى بعض
أمراض أشجار الصنوبر . وبدأ يتحدث عن عمله . أن
الحياة فى غابة الصنوبر لا تنقصها المغامرة ، فالأشجار
كما هو واضح تهاجمها أنواع شتى من الحشرات ،
الشيء الذى يجعل النهار مليئا بالاثارة . وأثناء حديثه
أصبح منفعلًا بالحماس لعمله .

وأوقف نفسه فجأة ، وأحمر وجهه بعض الشيء ،
وقال :

- حسن ، على أية حال ، هذا هو السبب في
وجودي هنا . ومستخدمي انسان طيب جدا . . انه
صديق لوالدي . لقد أعطاني هذا العمل وهو ان اعتنى
بغابته ، وبالتالي أستطيع ان أقوم بدراساتي واكسب
بعض المال في نفس الوقت . . انى استفيد خبرة قيمة
وأنا أحب العمل في هذا البلد . ولكن هناك الكثير
لتعلمه ، بما في ذلك اللغة .

- اذا كنت تعيش بمفردك ، فلا أرى سببا لاحتياجك
لها .

- أوه ، اننى لست في الكوخ طول الوقت . وأنا
أنزل الى « كوك هاردى » كثيرا . . ذلك المقهى القريب
من سوبيرو انه مقعم بالضجيج ، ولكن صاحبه يتكلم
اللغة الانجليزية والطعام فيه جيد . . آه ، هل هذا هو
صبيك الصغير ؟

استطعنا رؤية بوابة حديقة القس وهى تفتح ، وظهر
فيليب مع مدبرة منزل القس . نهضت على قدمي فرأنى
الصبى وركض عبر الميدان في اتجاهنا . فقلت له :

- لقد خرجت مبكرا عن موعدك يا فيليب • هل
تعيب القس منك ؟

- لا •• انه متعب ، ولكن ليس •• منى ••

- فهمت • فيليب ، هذا هو مسيو بليك الذى يعمل
فى عزبة ديودونى •• مستر بليك ، الكونت دى فالى •

فتصافحا ، وسأله فيليب :

- ماذا تعمل فى العزبة يامسيو ؟

- أنا مهندس غابات •

- مهندس غابات •• أوه ، فهمت • نحن لدينا
مهندسين غابات فى فالى •

- أعرف • لقد قابلت واحدا أو اثنين منهم •
وهناك واحد يسكن بجوار « كوك هاردى » •

فقال فيليب :

- أما بالنسبة لذلك ، فانا لم أتعرف عليهم بعد •
فلم يمر على وقت كبير هناك •

- نعم ، أعتقد أن عمك هو الذى يدير هذه الأمور •
فقال فيليب :

- نعم ، انه .. الوصى .. على .

وكان فخورا أنه تذكر الكلمة ، فأبتسم وليم وقال :
- أنا سعيد بلقائنا هذا !

فقلت :

- من الأفضل أن ننصرف ، مستر بليك .. شكرا
جزيلا على القهوة .. وأنا سعيدة جدا بلقائنا !

- أوه أرجوك .. لا تذهبي وتختفي . متى نستطيع
أن نلتقى ثانية ؟ هل أنت غير مشغولة في المساء ؟

- يوم الجمعة فقط .

فقال بنبرة خيبة أمل :

- أوه ، ان هذا سيء لى . لقد وعدت بعض
الأصدقاء لمقابلتهم .

فقلت :

- لابد أن نذهب الآن . بالتأكيد سوف نلتقى ..
فالوادي ليس كبيرا .

واثناء عبورنا للميدان ، رأيته يلعب في مشروعاته،
ويتهاب للذهاب هو الآخر ..

الفصل السادس

ذلك المساء تهشمت وتيرة حياتنا الهادئة • وكنا قد انتهينا من تناول الشاي في حجرة الدراسة • وكان فيليب يلعب ببعض عساكر من الدمى أمام المدفأة ، وأنا جالسة أقرأ له بصوت عال ، عندما سمعت صوت سيارة تتسلق المنعطفات ، وتقرب رويدا ، رويدا •

فرفع فيليب رأسه وقال :

- سيارة ! شخص ما قادم !

وقفز ناهضاً وركض ليفتح النافذة الطويلة • واختفى جهة اليمين بمحاذاة الشرفة • فأسرعت وراءه وصحت قائلة :

– فيليب ! ماذا أنت فاعل ؟

لقد ركض الى نهاية الشرفة حيث تطل على الساحة
الامامية ، وكان يميل بقامته في لهفة ، فقلت :

– سوف تقع اذا تعلقت هكذا • انتبه ، فافريز
الشرفة ليس ثابتا •• انا متأكدة ، فهذا الحجر الكبير
يتحرك • لابد انها أحد الأجزاء التي سوف يصلحونها •

ولكنه لم يصنع الى ، فقلت بحزم :

– ارجع فوراً يا فيليب • من يكون هذا ، على أية
حال ؟

تأرجحت السيارة مندفعة داخل الساحة الامامية ،
وأضواؤها تنعكس في بريق على القضبان الحديدية المدببة
التي أسفلنا وخرج رجل وذهب ناحية السلالم الامامية •

استدار فيليب في صمت وقفل راجعا الى نافذة
حجرة الدراسة • وتبعته للداخل • كان منتصباً بجانب
المدفأة ، ووجهه وكل جسده يبنىء عن خيبة أمله بشكل
حاد الى أن جلست ثانية بدون أى كلمة •

وبعد بضع دقائق قلبت في عدم اكتراث :

– من كان هذا ، هل تعرف ؟

— مسيو فلوريمون ، على ما أعتقد .

— مسيو فلوريمون ؟ انك لا تقصد مصمم الأزياء المشهور ، هل هو ؟

— انه هو . . . اعتاد أن يزورنا كثيرا في باريس ، وهو صديق لزوجة عمي . هل تعرفونه في انجلترا ؟
— طبعاً .

حتى في دار الفتيات ، سمعنا عن فلوريمون العظيم . . . انه واحد من أشهر مصممي أزياء في باريس . . .
واضفت مستفسرة :

— هل هو جاء ليبقى ؟

— لا أدري .

وعبر صوته أيضا على أنه لا يعبا ، فقلت بلطف :

— هل كنت تتوقع أحدا آخر يا فيليب ؟

فرفع بصره محمقا ، ثم أخفضه .

— ابن عمك راؤل ، ربما ؟

فلم يجب ، فحاولت ثانية :

- ألا تحب مسيو فلوريمون ؟

- نعم ، أحبه جدا .

وحذرني شيء ما في وجهه أن أتوقف عن توجيه
الأسئلة له . **وقلت :**

- جاء موعد نزولنا لمقابلة زوجة عمك .

وفي حجرة الجلوس كانت مدام دي فالمر ومسيو
فلوريمون ، يجلسان على كنبية مزينة برسومات الورد ،
يتبادلان أطراف الحديث .

تطلعت باهتمام الى زائرننا . لا أدري ماذا كنت
أتوقع أن يبدو واحد من « الخمسة الكبار » في تصميم
الأزياء ، أعرف فقط أن فلوريمون العظيم لم يكن يبدو
كما توقعت . كان كبير الحجم ، أشيب الشعر وغير
مهندم . كانت عيناه الزرقاوان عطوفتين .

كان يحكى قصة ما ، ومدام دي فالمر تضحك ،
وكانت تبدو أسعد عما شاهدها عليه من قبل . وأدركت
كم كانت حلوة ، قبل أن يمتص الزمن والمأساة الحياة
من وجهها .

والتفتت ورائتنا بجوار الباب فاخفتت فرحتها . .

ولحسن الحظ ، لم ير فيليب الضيق المرسوم على وجهها
وهو يتقدم نحو فلوريمون الذى كان يحييه بضجيج من
السعادة والحبور :

- فيليب ! يا للسعادة ! كيف حالك ؟

- اننى بخير ، أشكرک يا مسيو .

- يبدو أن هواء فالى يناسبك . طبعاً ، عندما
يكون الانسان محظوظاً بما فيه الكفاية ويحظى بأنسة
جميلة كمرافقة له ، فمن المتوقع أن يبدو فى أحسن
حال !

كانت هذه الملاحظة فوق فهم فيليب بلاشك . ولما
كانت باللغة الفرنسية ، فلا بد أن تكون فوق فهمى أنا
أيضاً .

فقالت هيلواز دى فالى :

- لا تخضع سحرك هباء ياكارلو ، أن لغة الأنسة
مارتن الفرنسية تتحسن كل ساعة ، كما قيل لى ، ولكن
لا أعتقد أنها وصلت هذه المرحلة بعد .

ثم أضافت باللغة الانجليزية :

- آنسة مارتن ، دعينى أقدم لك مسيو فلوريمون
سوف تسمعين عنه بلا شك .

فقلت وأنا أصافحه :

- حتى في ملجأ الأيتام سمعنا عن مسيو فلوريمون
• • ولكنى منذ أن جئت الى فالى فقط سعدت بأن أشاهد
ابتكاراته تلبس كما يجب أن تلبس •
والتفت نحو مدام دى فالى ، التى قالت :
- أشكرك يا آنسة مارتن •

وكانت عيناها تشعان محبة وعطفا وهى تبتسم لى •
ولكن حتى اثناء ما كنت أعيد الابتسامه لها تسربت
المحبة بعيد ، ونحت وجهها لتلتفت الى شغل الابرة
المنشغلة به • وقبل أن تبعد عينيها ، أعقد أنى رأيت
نفس النظرة القلقة الغريبة التى لاحظتها في يومى الأول
في فالى •

طردت الفكرة في الحال • فلم أعد أتخيل أنها تخاف
زوجها ، فدن الجلى أن الاثنين متقاربان جدا ، أما
موقفها منى • • ومن فيليب أيضا • • فكان جزءا من
جمودها العام • وقد يأخذ وقتا ليذوب ، وقالت :

- تعال يا فيليب واجلس بجانبى • لا يا آنسة
مارتن لا تهربى • اجلسى وضيفى مسيو فلوريمون •

واثناء القاؤها الأسئلة المعتادة على فيليب عن نشاطه اليومي . قص على مسيو فلوريمون حكايات مسلية عن حياة باريس . وانغمست في الحال كلية في قصصه . . على الأقل كان يجب على أن أفعل ذلك ، لولا أنني شعرت أن هيلواز دى فالى تراقبني بذلك التعبير الغريب ، ولولا أنني كنت اتساءل داخل نفسي من الذى بلغ عن تحسنى في اللغة الفرنسية من ساعة لأخرى .

وذكرنى دخول سيدون بصينية المشروبات بالوقت ، وقصدت الهروب مع فيليب قبل وصول عمه . كنت معطية ظهري للباب : وكانت لفتة رأس فيليب السريعة هى التى أنبأتنى بأننى قد تأخرت . وقال صوت ليون دى فالى الجميل :

— آه ، فيليب . لا ، لا تتحرك . كارلو ! أهلا ، أهلا ! ما الذى جاء بك الى جنيف ؟

وتحرك الكرسي في شكون الى الأمام .

— جئت وراء الخامات من أجل مجموعتى التالية .
فسألت المدام :

— وكيف تسير المجموعة ؟

– لقد بدأت لتوها • أوه ، على فكرة ، هناك كتلة
من الضباب جاسمة على الطريق بين ثونون وهنا •
كان ليون دى فالى مشغولا فى صينية المشروبات
وناول زوجته كوبا ، وقال :

– حقا ؟ هذا شىء سىء !

– فى بعض الأماكن • لكن أعتقد أنها محلية فقط •
أه ، شكرا •

وانفتح الباب ودخلت سيدون وقالت :

– مدام ، رسالة تليفونية جاءت لتوها من مسيو
راؤل •

فرايتها تحمق فى زوجها وهى تقول :

– نعم ياسيدون ؟

– سألنى أن أخبرك أنه فى طريقه الى هنا يامدام •

فوضع ليون دى فالى كوبه جانبا فجأة وقال :

– فى طريقه ؟ هنا ؟ متى ؟ من أين كان يتكلم ؟

– لم أستطع أن أعرف ياسيدى • لكنه لم يكن فى
بلفين • قال أنه سيكون هنا خلال الليلة •

ثم قال فلوريمون :

— ظريف ! آمل أن يكون هنا على العشاء ؟

فقالت سيدون :

— لا يامسيو • قال أنه سيقاخر عن العشاء
لكنه سيكون هنا الليلة •

فقالت مدام دي فالمر :

— هل بدا من كلامه بأن هناك أى شىء خطأ ؟
في بلفين ؟

— لا يامدام على الاطلاق •

فقال فلوريمون :

— لا تقلقى هكذا ياعزيزتى ، من المحتمل أنه يهرب
من العاصفة السمجة التى حلت بهم هناك •

فقال ليون بجفاء :

— انه عادة لا يهرب في هذا الاتجاه •

فرايت المدام تحملق ثانية في زوجها ، وكان وجهها
قلقا وشاحبا ••

وبعد أن دخل فيليب في سريره ، تعشيت بمفردي في
حجرتي . كانت البرتين ، خادمة مدام دي فالى عابسة
الوجه ، هي التي أحضرت العشاء لى . . . ووضعت
الصحون على المائدة في صمت غاضب . فقلت بابتهاج :

- شكرا يا البرتين ، أوه ، وعلى فكرة ، هل يمكن
أن تتذكري إذا كنت قد أحضرت دواء مسز ســــيدون
الأسبوع الماضي أم لا ؟

فقلت البرتين :

- لا . .

واستدارت للذهاب .

- هل تقصدين أنى لم أحضر الدواء أم أنك لا
تذكرين ؟

- أقصد لا أدري . .

ونظرت لى بعينيهما السوداوين بشيء من الكراهية،
وأضافت قائلة :

- لماذا لا تسألينها بنفسك ؟

فقلت ببرود :

— حسن ، سافعل •

وبعد قليل عندما جاء طرق الباب ودخلت مسرر
سيدون ، قلت لها :

— هذه المرأة البرتين •• ماذا بها ؟ أنها ودودة
كالثعبان •

— أوه ، لقد تضايقت لأنى طلبت منها أن تحضر
لك العشاء ، طالما أن بيرث منهمكة فى اعداد حجرة لمستر
راؤل • انها فى حموضة اللبن الفاسد خصوصا لو طلبت
منها أن تفعل أى شىء خارج حجرات المدام الخاصة •
واعتقادى أنها تشعر بالغيرة حتى اذا ابتسمت المدام
لأى أحد غيرها •

فضحكت ، وسألتها :

— كيف حال الربو ؟ مع الأسف لم يعطنى الصيدلى
دواءك اليوم • قال أنى أخذته الأسبوع الماضى • هل
تذكرين يامسر سيدون ؟ هل أعطيته لك ؟

— حسن ، لا أستطيع أن أتذكر حقيقة ، طالما أنى لم
أحتاج له حتى الآن • سوف ألقى نظرة فى حجرتى •
— هل مسيو فلوريمون سيمضى الليلة هنا ؟

- انها جاء للعشاء فقط ، ولكنه قد يبقى الليلة
إذا ازداد الضباب .

فنهضت وذهبت عند نوافذ الشرفة .

- أنا لا أرى أى ضباب . انها تبدو ليلة صافية !

- أوه . اننا مرتفعون هنا . ولكن الطرق تسير
بمحاذاة النهر ، ولقد وقعت حوادث في الوادى بسبب
الضباب .

- ربما مسيو راؤل لن يأتى الليلة .

- سوف يأتى . اذا قال أنه قادم ، فسيأتى .

وتوقفت برهة ثم أضافت مستفسرة :

- هل هم .. قالوا أى شىء تحت ؟

- لا شىء . انهم تساءلوا عن السبب في حضوره ،

هذا كل شىء ..

- لاداعى للسؤال . شىء واحد يجعله يظا هذا

المكان ، وهو النقود . فكل مرة يأتى فيها تنشأ مشكلة،
لأن مستر راؤل يريد المال من أجل بلفين والسيد يريده
من أجل فالى .

قلت :

- لابد أن مستر راؤل مالك حريص .
- أوه ، انه يعتنى ببلفين ويرعاها بشكل طيب . .
- انه مثل أبيه ، كما تعرفين . ولكنهم يقولون أنه يعيش حياته بالطول وبالعرض . هناك بعض الحكايات .

قلت :

- لا يمكنك أن تصدق كل شيء تسمعيه .
- فقلت مسر سيدون بأسف :

... لا ، طبعاً . . هذا صحيح . وخصوصاً عندما يكون عن مستر راؤل ، لأنه رجل من النوع الذى يجعل الناس تتكلم عنه . ولكن من أين يحصل على المال ؟ من أين حصل على تلك السيارة الكبيرة العظيمة التى كان يئودها المرة الماضية عندما كان هنا ؟

فقلت بهدوء :

- حسن ، من أين ؟

- آه ، لك أن تسألى من أين . . لقد سمعت السيد يسأله عن ذلك ، ولم يخبره مستر راؤل . قال فقط شيئاً عن ليلة محظوظة ورقم محظوظ .

فضحكت قائلة :

• - انها توحى كما لو انه كسبها فى الكازينو .

فبدت كأنها صدمت بعض الشيء ، وقالت :

• - حسن يا آنسة ! أنا لا أدري ماذا كانت الآنسة
ديبى قد تقول ! فغالبا ما اتساءل ..

فقلت بسرعة :

• - آه ، انه موعد شراب الشيكولاته لفيليب .

فلقد سمعت قصص مافيه الكفاية عن الآنسة ديبى
.. وتبعتنى مسز سيدون الى المطبخ الصغير ، وهى
تقول :

• - هل تذكرت بيرث الحليب ؟ آه ، نعم .. هاهو
قولى لى يا آنسة ، هل تجدين أن بيرث تقوم بعملها
جيذا ؟

• - أوه نعم ، انها تحافظ على نظافة الحجرات .

فمرت مسز سيدون بأصبعها فوق الرف التى يحمل
علب الكاكاو والقهوة والشاى والسكر ، وبدأ عليها
الرضا .

- نعم ، ان بيرث فتاة طيبة ، لو انها حافظت على عقلها في عملها ، بدلا من الركض وراء برنارد هذا .. السكر هنا ، يا آنسة !

- لا ، ليس هذا . انا أستخدم السكر الخاص بفيليب ، كما تذكرين .. هذه هي علبته الخاصة ، العلبة الزرقاء . هل تقصدين أن هناك شيئا ما بين بيرث وبرنارد ؟ أمل ألا يكون هذا بشكل جدى .. انه أكبر في السن .. انه يكبرها بكثير ، وبجانب ..

- نعم يا آنسة ، شيء مؤسف حقا . هذا الوجه الأغبر لشخص غبى وفتاة صغيرة جميلة مثل بيرث ! ولكن هذه هي الدنيا ، وهذه هي طبيعة البشر ! والآن لا بد لى أن اذهب . حقا لقد استمتعت بحديثنا يا آنسة .. كلانا سيدون وأنا نعتقد أن فيليب أفضل بكثير بسبب وجودك هنا . انه يحبك ، هذا واضح للعيان . ان ما يحتاج اليه هو انسان ما يغرم به ويحبه .

فقلت بهدوء وكأني أحدث نفسي :

- السنأ كلنا نحبه ؟

- كانت مربيته سيدة لطيفة جدا ، ولكنها كانت

تعامله على أنه طفل صغير • انك تقومين بمهمة عظيمة معه ، يا أنسة •

– أشكرك يامسر سيدون •

وأضفت :

– على الأقل فيليب سيفرح عند قدوم مسيو راؤل •

فحملت في وقالت :

– انه لا يكاديعرفه ، يا أنسة !

– ولكن عندما سمع السيارة قادمة عند المنعطفات هذا المساء بمسيو فلوريمون ، اندفع فيليب راكضاً وخرج الى الشرفة • فهل هناك شخص آخر يتطلع الى رؤياه ؟

وامتلات عيناها فجأة بالدموع •

– طفل مسكين ، يتيم كسير القلب !

وبعدما مسحت عينيها قالت :

– انه لم ير موت والديه مطلقا ، بالطبع • كانا سيعودان في سيارتهما من المطار ، تعرفين ، وكان

ينتظرهما هنا .. ولم يأتيا أبدا .. ان اعتقدى أنه
لا يزال منتظرا .

- هذا فظيع .

وبلعت ريقى وكررت :

- هذا .. فظيع ..

- نعم ، فى كل مرة تأتى سيارة الينا فى المساء ،
يندفع الى الخارج . ومن الخطر أنه لا توجد سيارات
كثيرة ! ودائما أخشى عليه أن يميل بجسمه أكثر
من اللازم ، وينتهى به الحال فوق تلك القضبان
الحديدية المدببة السفلية .

فسرى فى شعور بارد ، وقلت :

- سوف أراقبه !

الفصل السابع

كان فيليب مستغرقا في النوم ، ويبدو صغيرا بشكل غير عادى تحت أغطية السرير . . . وخرجت بهدوء ، أخذة مشروب الشيكولاته الذى لم يرغب فى تناوله الى المطبخ .

وعدت الى حجرتى ، وسرت مباشرة الى الشرفة . كانت الليلة معتدلة الطقس ، ورطوبة الربيع معلقة فى الهواء . فشعرت بالتعب وبالأحباط . لقد حدثت أشياء كثيرة اليوم ، ومن أحلاها . . . لقاء الصباح مع وليم بليك ، وحديثى الممتع مع فلوريمون . . . لقد خبت الكلمات واختفت الذكرى من عقلى وتركتنى مع هذا الشعور

الضحل الثقافي الغريب • انى اعرف كنه ذلك بالطبع •
فلقد عشت مع الوحدة لفترة طويلة •

وسألت نفسى بحدة ، ماذا أريد ؟ هل أريد أن
أكون حيث مدام دى فالى ، فى حجرة جلوس متلائة
الأضواء ، مستمتعة بالأحاديث العصرية المتعدية ؟
أين كنت سأكون أنا الآن ، اذا لم يحدث الأمر الذى حدث
من سبع سنوات مضت ؟

حسن ، انى أطلب المستحيل • ولابد أن أرضى
بالواقع !

وسمرت بطول الشرفة حتى وقفت فوق الحجرة
الجلوس • كان الضوء يسقط بنعومة من النوافذ الطويلة
على الساحة الأمامية ، عبر الستائر الذهبية • وكانت
أحدى النوافذ قد تركت مفتوحة لليل اللطيف ، ومنها
يتسلل شعاع قوى من الضوء يصاحبه صوت الحديث
والضحك • فاستدردت مسرعة ، وعدت الى حجرتى
وارتديت معطفى • وخرجت للتريض •

أخذت أهبط المنعطفات ببطء فى ضوء القمر الخافت •
كان هناك طريق هابط يتخلل الغابة نفسها • مدق
منحدر وكان أقصر من المنعطفات ، ولكن من المتوقع أن

يكون مظلما جدا تحت الأشجار ، ولذلك التزمت بالسير
في الطريق .

كان الهواء ساكنا تماما . ومن تحتى ، فى الوادى ،
كنت أستطيع رؤية الضباب الشاحب . وكانت هناك
رائحة نفاذة قوية للزرع والتربة المبتلة ، رائحة الربيع !
وسمعت ضجة مفاجئة فى أوراق الشجر الجافة
وتذكرت أن هناك خنازير برية فى بعض أجزاء فرنسا .
وضحكت على سخافة تفكيرى ومشيت بثبات هابطة
الطريق . ووصلت أخيرا الى الجسر .

يحف النهر حدود أرض فالى ، ويحفها من الجانب
الآخر البعيد الطريق الرئيسى . كان الضباب كثيفا
على جانب فالى من الجسر ، ولكنى نفذت منه ، ووقفت
فى نهاية الجسر محمقة فى المنحدر الشديد لغابة ديودونى
على الجانب الآخر من الطريق الرئيسى . وبدت الغابة ،
فى ضوء القمر الخافت ، مثل سحابة مظلمة معلقة فوقى .

وكانت هناك سيارة قادمة صاعدة الوادى . لا ،
انها لورى . . . وسمعت صوت المحرك يعلو ويخفت مرة
تلو الأخرى ، أثناء انعطاف اللورى حول المنحنيات . . .
واقترب من نهاية الجسر واستمر فى صعود الطريق
الرئيسى .

كنت استدير عائدة لأصعد المنعطفات ، عندما شد انتباهي ضوء صغير جدا ظهر بين أشجار ديودوني ، متلألئا عبر سحب الصنوبر مثل نجمة صفراء صغيرة . فتوقفت وتطلعت نحو هذا النور . وتصاعد زئير لوري آخر قادما من الوادي ، ومن فوقه يتعلق الضوء الصغير مشعا وثابتا . لا ، ليس بنجم . أنه كوخ الغابة الصغير الخاص بوليم بليك ، فابتسمت لنفسى ، وتصورته جالسا مع مشترواته .

وارعد اللوري الثانى مارا بنهاية الجسر . ولم ألحظ السيارة المندفعة بهدوء من خلف اللوري الكبير . ولم أرها حتى استدارت بحدة الى الجسر الضيق وجاءت نحوى مباشرة .

كانت زاوية سهلة ، قطعها مسرعا . وللحظة وقعت أسيرة فى شعاع الأضواء الأمامية ، وسمعت صرخة الفرامل ، فقفزت لاجئة لحافة الطريق . وانزلت قدمى على السطح المبتل فسقطت متمددة تحت حائط الجسر ، وذلك أثناء مرور السيارة على بعد نصف متر من وجهى . بعد أن وقفت وقفة عنيفة خلف الجسر مباشرة .

وانفتح باب السيارة واقفل ، وقال صوت ليون دى فالى :

- أين أنت ؟ ألم ألمك ، اليس كذلك ؟

وعند سماعي لهذا الصوت المألوف ظننت انى قد
صدمت وأصابت بلوثة .. وجررت نفسى ، متعلقة
بالحائط ، ووقفت على قدمى وفرائصى ترتعد !

لم أجن على أية حال .. ولم يكن الرجل القادم
نحوى ليون دى فالى .

كان راؤل دى فالى ، مثل أخيه ، حلو المحيا بشكل
فوق العادة ، لكن وجهه لم يكن عليه علامات السن
والمرض . كان يبدو قويا ، فخورا ، و .. فى هذه اللحظة
.. حائقا جدا .

جلست فجأة على الحائط وانتظرت . ووقف قبالى
تماما ، طويلا شامخا فى ضوء القمر ، وقال بحدة :

- هل أصبت ؟ هل صدمتك ؟

- لا !

- ولا حتى لامستك ؟

- لا .. لا !

وكانت يداى ترتعشان .

سمعته يتنفس في ارتياح سريع • واشتعل صوته
غضباً :

- اذن بحق الجحيم ماذا كنت تفعلين ، واقفة في
وسط الطريق في الضباب ؟ كنت على وشك الموت ..
وإذا حدث ، لكنت تستحقين ذلك !

لم أكن معتادة على أن يتكلم أحد معي بمثل هذه
الحدة ، فرفعت رأسي بغضب قائلة :

- انه ليس طريفاً عمومياً ولدى كل حق لأقف في
وسطه ، أو أجلس أو أرقد حتى في وسطه إذا أردت !

على أية حال كان لا يجب عليك أن تسير عند منحنى
بمثل هذه السرعة !

- أنا أعرف الطريق مثل ظهر يدي ، وأنا أعرف
امكانية هذه السيارة •

ويدأ يغير من نبرته الغاضبة الى نبرة من يريد أن
يتسلى :

- لم اتوقع أن أجد أحداً واقفاً على الجسر في هذا
الوقت من الليل ! ربما ستخبريني الآن لماذا تعبرين
لك كل الحق في الوقوف .. أو كما قلت حتى الرقاد ؟

.. في وسط هذا الطريق بالذات ؟ هذه هي .. هذه هي
عزبة فالى ، كما تعرفين ..

كنت منهمكة في مسح يدي الموحلتين بمنديل ،
وقلت :

– نعم ، انى أقطن هنا .

فأصدر صوتا يعبر عن الاندهاش :

– بالتأكيد أنت لست واحدة من الـ ٠٠٠٠ ؟

فقلت :

– الخدم ؟ تقريبا . أنا مربية فيليب !

فقال راؤل دى فالى ببطء :

– لكنهم قالوا لى انها فتاة انجليزية .

شعرت كأنه قد أعطانى ضربة حادة في المعدة ..

ولأول مرة أدركت أننى قد تكلمت باللغة الفرنسية ..

لقد أجبته ، بدون تفكير ، باللغة التى استخدمها . فقلت

بضعف :

– أنا ... نسيت !

فقال باندهاش عظيم :

- هل انت انجليزية ؟!

فاومات :

- ليندا مارتن ، من لندن . لقد صار لى هنا ثلاثة اسابيع ..

فاصبح صوته جافا قليلا وقال :

- اذن اسمح لى ان اهنك على تقدمك فى اللغة الفرنسية يا آنسة مارتن .

لقد هزتنى فعلا هذه الصدمة الثانية . وكانت النبرة الجافة فى صوته ، تشبه تماما نبرات صوت ليون دى فالى ، لذا لم أستطع الامتناع عن اجابة حانقة فقلت :

- يجب ان تعرف جيدا تماما اننى لم اتعلم كل لغتى الفرنسية فى الاسابيع الثلاثة الماضية .. لذلك لا تضايقنى كما أسقطتنى !

لم يكن هذا صحيحا بكل وضوح وتوقعت منه ان يصيح فى ، واكنه قال فقط :

- انا آسف ، لابد أنك صدمت صدمة سخيفة . سوف آخذك الى السيارة ، وسوف أوصلك الى المنزل .

وعندما وقفت على قدمي وضع يده تحت ذراعي ،
وقال بسرعة :

– انك لا تسيرين بشكل سليم .. يبدو انك أصبت !

– ليس منك .. لقد انزلت قدمي وسقطت عندما
حاولت القفز خارج الطريق . انها مجرد ركبة
مخدوشة . حقيقي ، هذا كل ما في الأمر .

فقال وهو يبدو قلقا :

– حسن ، من الأفضل توصيلك للقصر . هل
تستطيعين الدخول في السيارة ؟ أخشى أن يكون هذا
صعبا بعض الشيء !

لقد اصطدمت سيارته الكبيرة – لكي تتفاداني –
بجانب الطريق ، وكان أمامه مباشرة حائط من الصخور
.. فتطلعت اليه باحساس بالذنب وقلت :

– أنا .. انها لم تصب بضرر ، اليس كذلك ؟

– لا أعتقد ذلك .

وفتح الباب وتمكنت من الدخول . وذهب ليفحص
خلفية السيارة ، وجلست مضطجعة في المقعد المريح ،
عستمتة بالرائحة الخافتة للجلد الثمين . وفكرت بأنها

كانت ستصبح غلظتى اذا صدمت سيارة مسيو راؤل
- الكاديلاك الغالية - هذا الحائط الصخرى !

ودخل وجلس بجانبى ، فقلت بصوت منخفض :
- مسيو دى فالى .. قبل أن تعيدنى احب أن
أعذر ..

- تعتذرين ؟ ولماذا ؟

- لقد أنقذت حياتى بقيادتك الحسنة .. وبعدها
كنت فظة معك ! أشعر بالأسف .. انها كانت غلظتى !
واذا كنت قد أتلفت سيارتك ، فسوف أدفع ثمن ذلك من
راتبى !

فاخذ يضحك على ثائية :

- شكرا .. ولكنها لم تصب بسوء ، ولا خدش . اذا
كان لأحد أن يعتذر ، فهو أنا . أعتقد أنى كنت جافا فى
حديثى .. أنا أسف .

فقلت بشكل مرتبك قليلا :

- حصل خير !

لم يقل شيئا . وبدا كما لو كان ينتظر شيئا . ولم

يتحرك لتشغيل السيارة .. ولاحظت أنه كان يراقبني
بثبات ، وزالت الفكاهة من على وجهه ، فقلت :

- لقد بوغت أنا نفسي بشكل جعلنى أبوح بسرى
لك .

- عندما تكلمت معى باللغة الفرنسية ؟ أه ! وهكذا
كنت أنا على صواب ؟

- أنهم لا يعرفون أن نصفى فرنسى ؟ نعم ..
فقال :

- أنا لست مستخدمك ، تعرفين ، لا حاجة لك أن
تشرحى لى . لكنى مجرد فضولى بعض الشيء . هل
أفهم أنك خدعت أبى وهيلواز عن عمد ؟

- أنا .. انى أخشى أنه كذلك .

- لماذا ؟

- لأنى أردت الوظيفة .

- ولكن لازلت لا أفهم لماذا ..

فضغطت يدى سويا وقلت بحرص :

- كنت في حاجة للوظيفة . سأحاول أن أقول لك
لماذا ، بالرغم من أني لا افترض أنك ستفهم . . .

وبدا كما لو كان ينوى أن يقول شيئا ، ولكنى واصلت
الحديث وقلت بسرعة :

- أنا جزء منى فرنسى ، ولقد نشأت في باريس .
وعندما كنت في الثالثة عشرة من عمري قتل أبى وأمى
في حادث طائرة . . كان أبى يكتب فيلما يجرى تصويره
في البندقية ، وذهبت أمى معه للاستجمام . . أوه ،
التفاصيل لا تهتم . . انتهى بى الحال في ملجأ أيتام بلندن
. . لا أدري . . هل حدث ودخلت أحد الملجأ ؟

- لا !

- حسن ، فالتفاصيل لا تهتم هنا أيضا . . لقد كانوا
رحماء معى جدا . لكنى أردت . . أوه ، أن أعيش ، أن
أجد مكانا في العالم يخصنى ، وكنت أبدو أنى أمام طريق
مسدود . . حصلت على وظيفة في مدرسة بنين لتدريس
اللغة الفرنسية ، ولم أكن سعيدة هناك ، أيضا . . وعندما
أخبرونى أن مدام دى غالى تريد مربية انجليزية ، بدا لى
ذلك كهدية من السماء . وفكرت أنه سيكون شيئا رائعا
أن أعيش في فرنسا وفي بيت حقيقى ثانية . .

فقال بشكل جاف :

- وهكذا أتيت الى فالى ..

- نعم ، هذا كل شيء .

ومرت فترة صمت قال بعدها :

- أعتقد أنى أفهم ذلك . لكن لا حاجة بشرح كل هذا لى ، تعرفين ، ليس لى أى حق فى استجوابك .

فقلت بخجل :

- شعرت أنى مدينة لك بشيء . وأنت سألتنى لماذا خدعت مدام دى فالى وأباك .

- لا ، انك أسأت فهمى . كان المفروض أن أقول ، لماذا ستخدعينهما . هل تحاولين أن تخبرينى أنك أخفيت حقيقة أنك فرنسية الى حد ما ، لأن ذلك قد يفقدك الوظيفة ؟

- أنا .. نعم الى حد ما ..

ومرت فترة صمت ، قلت بعدها :

- شعرت فعلا أنه من المهم ألا أبدو أنى أستطيع التحدث باللغة الفرنسية ، لأننى سأحدث مع فيليب باللغة

الانجليزية كل الوقت . . وعندما بدأت بالتظاهر فلم
أستطع الاعتراف بعد ذلك .

فقال :

- افهم انهما مازالا لا يعرفان .

- نعم .

- حسن ، لا تقلقى بخصوص ذلك . ان هذا
الموضوع ليس له أهمية بأى شكل من الاشكال .
وبدا تشغيل المحرك .

- وأنا لم اقصد أن أسالك أسئلة كثيرة ! ان هذا
ليس من مهمتى .

فقلت فى صوت منخفض :

- مسيو . . اتساءل اذا كنت سوف . . اقصد . .

- تسالين اذا كنت سأحتفظ بسرك ؟

فاضفت وأنا اشعر بشيء من الضالة :

- نعم . أرجوك !

فقال راؤل دى فالى ببطء :

— حسن جدا • لن أقول • والآن أعتقد من الأفضل
أن نذهب •

وتحركت السيارة للأمام • وأخذ يقود في صمت وكان
لدى وقت للتفكير • لماذا كان على أن أبوح بقصتي لراؤل
دي فالى ؟ ماذا تهمة ؟ وماذا سيفكر في ؟ وجززت على
شفتي • حسن ، من المحتمل أنه لم ينصت جيدا ، وكانت
لديه أمور أهم يفكر فيها ، فقلت :

— مسيو فلوريمون هنا الليلة !

— أوه ؟ هل يبقى طويلا ؟

— أعتقد أنه جاء للعشاء ، ولكن إذا ازداد الضباب
فأعتقد أنه سيقضى الليلة هنا •

فقال راول :

— آه ، جميل • هذا أمر آخر يمكنني أن أشكر
الضباب لأجله !

وأخذت أتساءل ماذا يقصد « بأمر آخر » ، عندما
تأرجحت الكاديلاك فوق الساحة الأمامية ••

الفصل الثامن

كان سيدون يعبر البهو عندما دخلنا . فالتفت عندما رأى راؤل ، ثم وقعت عينه على ، فقال :

— مستر راؤل ! آنسة مارتن ! هل حدث حادث ؟

— كدت أصدم الآنسة مارتن فوق جسر فالى ..
اقتراح أن تحضر لها بعض البراندى الآن ، و ..
فقلت بسرعة :

— لا ، من فضلك أنا لا أريد أى براندى . انى
ذاهبة لأخذ حماما ، ثم أعمل لنفسى فنجانا من الشاي
.. حقيقى أنا لا أريد شيئا .

— حسن يا آنسة ، اذا كنت متأكدة من ذلك •

ثم نظر الى راؤل الذى قال :

— سأخذ حاجياتك الى اعلى ياسيدى !

— شكرا لك • كيف حالك ياسيدون ؟ وكيف حال
مسن سيدون ؟ هل زالت أزمة الربو ؟

— نعم ، أشكرك ياسيدى ، كلانا بخير • سأخبر
المدام بأنك وصلت •• !

وعندئذ استدارتى للذهاب ، قال راؤل :

— لقد مزقت ثوبك •

فنظرت الى أسفل ، وكان معطفى مفتوحا ، فظهر
قطع فى نهاية ثوبى • وقال آسفا :

— لا بد أن مقدمة السيارة قد أمسكت بك • انا فى
الحقيقة بالغ ••

— راؤل !؟

جاء الصوت من خلفى •• فقفزت مذعورة • لا بد
أن راؤل قد اعتاد على طرق أبيه فى الدخول المباغت ،
لأنه لم يقل أكثر من :

— كيف حالك ياسيدى ؟

ومد يده ..

وتحولت عينا ليون دى فالى الساطعتين نحوى وقال
متسائلا :

— ما هذا ؟ هل سمعت شيئا عن سيارة أمسكت بك ؟
فقال راؤل ، متقسما :

— آنسة مارتن وأنا ، التقينا .. بشكل مفاجيء ..
تحت .. عند جسر فالى ..

ونزلت عينا أبيه الى ثوبى الممزق والى ساقى
الملطخة بالدم والوحل ..

— هل تعنى أنك صدمتها ؟

فقلت بسرعة :

— أوه لا .. لقد سقطت وجرححت ركبتى ، هذا كل
ما فى الأمر .. ومسيو راؤل لم يمسنى ..

— هذا الجرح لم يكن سببه السقوط .. فهذا الثوب
قد مزقه شيء حاد هل هذا هو فعل سيارتك العظيمة
ياراؤل ؟

وظهر في صوته حلق حاد مفاجيء . وتذكرت للحظة
الطريقة التي تحدث بها لفيليب ، بجانب الكرسي الأصفر
ولكن هذا لم يكن فيليب ، انه راؤل . فقال بهدوء :
- اتخيل ذلك . آنسة مارتن ، أنا في الحقيقة بالغ
الأسف ..

- أوه من فضلك ، هذا لا شيء بالمرة . انها غلطتى
أنا !

فقال مسيو دى فالى :

- ماذا كنت تفعلين تحت عند الجسر في هذا الوقت
من الليل ؟

- ذهبت للتريض . وتوقفت في منتصف للجسر .
كان شيئاً سخيلاً أن أفعل ذلك بسبب كثافة الضباب ،
ومسيو راؤل كان يقود سيارته فيه . ولقد نسيت أنه
قادم .

- نسيت ؟

وفجأة تذكرت أن المحادثة عن راؤل كانت باللغة
الفرنسية .

فقلت في ثبات :

— مسز سيدون أخبرتنى أنه قادم .

— آه ، نعم .

كانت العينان الداكنتان لا تفصحان بما فيهما من
معان :

— ثم ماذا ؟

— وهكذا بالطبع لم يرني مستر راؤل حتى صار
بجانبى تقريبا . أنا لا أدري كيف أستطاع أن يتفادانى !

وكان صوته حادا من الحلق ثانية حين قال :

— انها زاوية خطيرة جدا ، راؤل ، لابد أنك كنت
تقود السيارة باهمال مذهل !

لم يكن له الحق للتحديث الى ابنه بهذا الشكل ،
وأمامى ، أيضا ! وفتحت فمى لأتكلم .

ولكن راؤل كان يبتسم في سرور حين قال :

— تم توسيع الطريق عند تلك الزاوية الخريف
الماضى . من مال بلفين . تذكر ان تلك الطرق

والسيارات قد تغيرت كثيرا جدا منذ كنت قادرا على القيادة .

وفي الصمت الوجيز الذي تبع ذلك رأيت التجاعيد حول فم دى فالى تزداد عمقا . . واليدين البيضاوين تنقبضان باحكام حول ذراعى الكرسي . ولم يقل شيئا . وابتسم راؤل بتكاسل وهو ينظر له من أعلى الى أسفل . . لا ، هذا ليس فيليب حتى يكلمه بشدة .

• وذهبت مسرعة الى الطابق العلوى .

وفي اليوم التالى انقشع الضباب وولت آثاره ، وكانت الأشجار تتحرك بخفة فى ريح الربيع الصافية . . فى ذلك اليوم بدأنا جولتنا المحببة ، عبر الغابات التى تمتد فى اتجاه الشمال الى أسفل الوادى . وهبطنا الممر المنحدر الى الجسر .

كان يوما ساطعا وباردا فى الوقت نفسه ، وكان فيليب يرتدى قلنسوته الصوفية الحمراء ، وبدأ مبتهجا بشكل غير عادى .

وبينما كنا نتجه الى الممر المنبسط الواسع الذى يؤدى الى الطريق الملاصق لجانب التل ، قلت له :

– دعنا نزل الى الغابة الكبيرة ثانية !

كانت الأشجار هنا عتيقة ومبتاعدة ، فقال فيليب
وهو يقفز ويرقص بجاذبي :

— دعينا نبحث عن الدببة !

— دببة ؟ هل توجد هنا دببة ؟ لا ، لا ، لا توجد دببة
في فرنسا الآن ! خنازير برية ربما ..

— حسن ، برنارد يقول بأن هناك دببة في هذه
الغابات . أخبرني أنه أصاب واحدة بالرصاص ! هل
تعتقدين يامدمرازيل ، أنني عندما أصبح في العاشرة من
عمرى أستطيع أن أحصل على بندقية ؟

— عندما تكبر ، ممكن !

— هل عندما يصبح عمرى عشرة سنوات أصبح
كبيرا ؟!

— ممكن ، لكن جسمك ليس كبيرا جدا . ليس كبيرا
بما فيه الكفاية لإطلاق الرصاص على الدببة .

— أرايب اذن . سأحصل على بندقية وأطلقها على
الأرانب !

وأخذ يرقص أمامى ويغنى أغنية صغيرة :
« أطلق الرصاص على الأرنب ،

أطلق الرصاص على الدب ،

بانج ، بانج ، بانج !

هिला ، هिला ، هوب • «

فقلت :

— انتبه الى أين أنت ذاهب ! والا سوف ...

عندئذ حدثت ثلاثة أمور ، تقريبا في نفس اللحظة •

فيليب التوت قدمه في جذر شجرة وسقط متمددا على الأرض • شىء ما ضرب الشجرة بجانبه وأصدر صوتا عاليا وطلقة بندقية حادة مزقت المسكون في الغابات •

في البداية لم أستوعب ما قد حدث • طرقة البندقية، وجسد الصبى ممددا على أرض المر • وللحظة شعرت كأنى أصبت بسكتة قلبية ، وتحرك الرعب في دمي كالآلم • وعندما تحرك ، أدركت أن جزع الشجرة هو الذى أصيب •

وصرخت في الغابات الساكنة التى ترتفع متدرجة من فوقنا :

— لا تطلق الرصاص يا أحمق ! يوجد أناس هنا !

ثم وقفت بجانب فيليب وانحنيت فوقه ، لأتأكد من
ان الرصاصة لم تلمسه ، ولكنى عندما رأيت الثقب في
الشجرة من فوقه تماما ، أدركت كم كان قريبا ليكون
هو المقصود . والأغنية السخيفة الصغيرة التى جعلته
يسقط قد أنقذت حياته ..

ورفع رأسه ، وذهب كل المرح والبهجة من وجهة
الملطخ بالوحل على أحد جانبيه ، وقال :

- انها كانت بندقية ! شئ ما ضرب الشجرة !
رصاصة !

كان يتكلم بالطبع ، باللغة الفرنسية ، وأجبتة بنفس
اللغة على أية حال فقد سمعنى لتوه وأنا أصيح باللغة
الفرنسية على صاحب البندقية .

- شخص أحمق سخيف خرج ببندقيته وراء خنزير
برى . حصل خير يا فيليب ، حصل خير !

وأخذت بيده حتى وقف على قدميه ، وقالت :

- أظن أنه اعتقد أنك خنزير ..

كان فيليب يرتعد من الغضب ومن الخوف فى نفس
الوقت . وقال :

- الخنازير لا تغنى ! انه أحرق أوم جنون ! سوف
أفصله من عمله !

وكننت منتظرة قدوم صياد خائف ليرى ما قد فعله
ويعتذر . ولكن مع مرور الوقت ، أدركت أن الغابة تبدو
خاوية . وأيا كان من أطلق العيار الناري ، فلن يعترف
بأهماله .

وتطلعت من حولي ، كانت على يسارنا مساحة
فضاء مكشوفة ، ترتفع الأرض فيها بلطف الى أعلى
لحوالى مائة ياردة . وتوجد عند القمة صنخور وأشجار
كثيفة . ربما الرصاصة قد أطلقت من هناك ، فقلت :

- انتظر هنا ، سأذهب لأرى ..

- لا !

وأمسك بيدي وقبض عليها بإحكام . وأرخيت بصرى
الى أسفل على الوجه الشاحب الصغير تحت القلنسوة
الحمراء .. كانت الدموع تترقرق في عينيه ، فقلت :

- حسنا ، سنذهب الى البيت !

وعندما صعدنا الممر رأينا مدام دى فالى في الحديقة
الأمامية .. كانت تقطف الزهور . وكان وجهها في

اتجاهنا ، فرأينا عندما خرجنا من الغابات ٠٠ لابد أنها
رأت الوحل على ملابس فيليب حيث ظهرت نظرة رعب في
وجهها .

– فيليب ! ماذا حدث بحق السماء ؟!

كنت مقطوعة النفس من التسلق ومازلت حانقة ،
فقلت :

– شخص ما أطلق النار على فيليب في الغابة تحت
هناك ٠٠ !

كانت شاحبة جدا وهي تقول :

– أطلق النار ٠٠ على فيليب ؟!

– نعم ٠٠ لقد أخطأه فقط لأنه سقط . والرصاص
ضربت الشجرة !

– ولكن ٠٠ هذا جنون ! هل يستطيع أحد أن يفعل
ذلك ٠٠ هل رأيت من هو ؟

– لا ، لم أر أحدا . ولكنني أتصور أن مسيو دي
فالمر يستطيع اكتشاف من الذي كان في الغابات في هذا
الوقت . أين مسيو دي فالمر يا مدام ؟

— في المكتبة •

كانت تضع إحدى يديها على قلبها ، ومن يدها الأخرى وقعت الزهور التي كانت قد جمعتها على الأرض ، دون أن تلاحظ • وقلت :

— إذن سأذهب وأراه بعدما آخذ فيليب إلى الداخل •

— نعم ، نعم ، بالطبع • مسيو دي فالمي سيتضايق بشكل مزعج •• بشكل مزعج !

فقلت :

— أمل أن يفعل شيئا أكثر من ذلك !

وعندما دخلنا التفت خلفي فرأيتها تركض مسرعة ، لتخبر مسيو دي فالمي بنفسها •• حسنا ، فكلما عرف مبكرا كان أفضل •

أخذت فيليب وصعدت به إلى بر الأمان في حجرة الدراسة • وبقيت معه إلى أن أخذ حمامه ، وبعد ذلك تركت بيرث معه ونزلت لأرى عمه ••

الفصل التاسع

كان ليون دى فالى بمفرده فى المكتبة • لم أكن قد دخلت هذه الحجرة من قبل • كانت حجرة عالية الجدران ، وأرفف الكتب ترتفع من الأرض الى السقف • وفوق المدفأة تتعلق صورة ضخمة مرسومة بألوان الزيت لشاب يافع يقف بجانب حصان • ويبدو أنها صورة لراؤل دى فالى عندما كان صغيرا وتعجبت لماذا يحتفظ بها أبوه هنا •

وبجوار المدفأة ، كان هناك كرسي بمساند وحيد • • وغير المكتب الكبير المجاور للنافذة ، لا تحتوى الحجرة على كثير من الأثاث • وأدركت السبب عندما تحرك

كرسى ليون دى فالى عبر الحجرة الى هذه المساحة
الخاوية • فالكرسى المتحرك يحتاج الى وفرة فى المساحة •
وبعد لحظة قال :

— تعالى وأجلسى يا آنسة مارتن !

فأطعته ، وتطلعت اليه فأدركت ، مع احساسى
بالصدمة ، أن الصورة التى فوق المدفأة ليست لابنه بل
لليون نفسه !

ولاحظنى عندما كنت أتأمل فى الصورة • فقال :

— يبدو أننا عائلة تعسة ، نحن عائلة فالى !

فقلت :

— هل أخبرتك المدام ؟

— لقد جاءت مباشرة الى •• لقد صدمت وتكررت
للمغاية • ومع الأسف ، فقلبها ليس قويا ••

ونظر الى وجهى وقال :

— أنت أيضا ، يا آنسة مارتن • أعتمد أن من الأفضل
لك أن تشربى شيئا • بعض النبيذ ؟ •• والآن ، أخبرينى
ما الذى حدث من فضلك ••

أخذت الكوب بامتنان وقلت :

— شكرا .

وأعطيته موجزا قصيرا لما حدث ، فقال عندئذ :

— سنستطيع أن نكتشف من خرج ببندقية اليوم ،
اليس كذلك ؟ يجب ألا يسمح له بفعل ذلك مرة أخرى . .

— أننى أفعل ما فى وسعى .

ورمقنى بنظرة خاطفة وقال :

— عملى الفعلى أقوم به أساسا عن طريق التليفون
. . . وعندما أكتشفه ، سوف يفصل من عمله . .

فقلت :

— هل خرج أحد لبيحث الأمر بنفسه ؟

— طبعا . لكن الذى أطلق النار سوف يحتاط ويخفى
آثاره . وليس من السهل الحصول على وظائف جيدة
فى هذه المنطقة !

— أستطيع أن أفهم لماذا هو خائف . فالموضوع قد
يصل الى الشرطة .

فارتفع الحاجبان الأسودان ، وقال :

– الشرطة ؟ اذا كان الحادث قد وقع بالفعل ، أجل .
ولكن طالما أنه ..

– لا أعتقد أنه حادث غير متعمد !

فبدت عليه الدهشة ، وقال :

– الى ماذا تلمحين بحق السماء ؟

فلم أجب .. وتساعل مرة أخرى :

– ماذا أيضا ، يا آنسة مارتن ، ماذا أيضا ؟ جريمة
قتل ؟

كانت هناك نبرات احتقار وعدم تصديق في صوته ..
وشيء آخر : حنق ! .. واستطعت أن أشعر بالغضب
يقيض تجاهي ، مثل ريح ساخن .

ثم تلاشى ، وقال بصوت ناعم وبارد :

– أنك متهيجة وشائرة بعض الشيء ، اليس كذلك ؟
من يريد أن يقتل طفلا ؟ وليس لفيليب أعداء .

فقلت في نفسي ، لا .. ولا أصدقاء أيضا ، فيما
عداى ! .. وقلت ببرود :

– لا ، اننى لم أقصد ذلك . ولكنى لا أستطيع أن

افهم كيف تكون حادثة غير مقصودة بالمرّة • فالمكان كان
مكشوفاً ولا بد أنه كان يسمعون • وربما كانوا بعض
الفتيان يحاولون اخافتنا •

وسكت لبرهة ، ثم قال :

— أين كنت بالضبط ؟

فشرحت ببعض التفاصيل ، ثم أنهيت الشرح بقولي :

— اعتقد أن الرصاصة كانت قادمة من الربوة التي
فوقنا • كنت أود أن أصعد لأرى ، ولكنني فضلت أن أحضر
فيليب الى البيت مباشرة •

كان يراقبني بشيء من الفضول • وتساءل :

— هل كنت ستفعلين ذلك ؟

— طبعاً !

فقال ببطء :

— انك فتاة شجاعة !

— أين الشجاعة ؟ ولماذا أخاف من أحقق ؟

فسطع وجهه بتلك الابتسامة الساحرة غير العادية ،
وقال :

– ان أية فتاة صغيرة قد تخاف الاقتراب من أحمر
مسلح ببندقية ! أعتقد انى أستطيع الآن ان أخمن ما حدث
.. شخص ما كان ممسكان ببندقية بلا مبالاة ، وانطلق
عيار نارى منها عفويا .. ورأى فيليب يسقط ، ففكر أنه
قد أصابه وهكذا ولى هاربا !

– نعم ، بالطبع . هذا هو الموضوع كما يبدو .
فقال بعطف :

– يا طفلى المسكينة ، لقد مر بك يومان سيئان ،
اليس كذلك ؟ لكن لا تهتمى اطلاقا بهذا الأمر .. هل تغلب
فيليب على خوفه ؟ ألا يحتاج لطبيب ؟

– أوه لا ، أنه على مايرام حاليا . لكنى وعدته أن
العب معه احدى الألعاب قبل الذهاب للنوم .

ووضعت كوبى الفارغ جانبا ، وقلت بحرص :

– مسيو دى فالى . لدى اعتراف أقوله لك .. أنا
.. لقد خدعتك أنت والمدام ، ولم أعد أحتمل ذلك . لأبد
ان أخبرك ..

فقال باستخفاف يبدو في عينيه :

— انى منصت . . كيف خدعتينا ؟

فقلت باللغة الفرنسية :

— هكذا خدعتكما يامسيو ، وأعتقد أنه حان الوقت
لأعترف بذلك .

ومرت برهة سكون قصيرة ، قال بعدها :

— فهمت ، انها ليست لغة فرنسية جيدة فقط ، بل
لغة فرنسا بذاتها . حسنا يا آنسة مارتن ، اخبريني بكل
شئ !

وانتهى الأمر . . اعترفت بتظاهري عديم الفائدة ،
ولم يحدث أى شئ سوى أن ليون دى فالى قد ضحك
كثيرا . وضحكت معه وأنا أشعر بالامتنان والراحة .

وبعد لحظات قليلة فتح الباب ودخل راؤل وقال :

— أعتقد أنك أردت مقابلتى ياسيدى ؟ لقد وصلت
لتوى .

وعندما رآنى ، توقف عن الكلام مع أبيه وقال لى :
— مساء الخير يامدموازيل !

فنهضت واقفة بسرعة ، وقلت باللغة الفرنسية :

— كنت على وشك الانصراف .

فرايت حاجبي راؤل يرتفعان ، فصمت برهة ثم
قلت :

— ربما مسيو راؤل قد اكتشف شيئاً ما عن اطلاق النار ؟ هل كان يبحث عن هذا الرجل ؟

فقال مسيو دى فالى :

— لا ، حسناً يا آنسة مارتن ، شكراً على مجيئك .
تصبحى على خير .

فقال راؤل بانفعال :

— اطلاق النار ؟!

كان يوجه الحديث لى ، فترددت قائلة :

— اذن .. اذن أنت لا تعرف ما حدث اليوم ؟

— لا .. ما الذى حدث ؟!

فقال ليون ببرود :

— أحد الحمقى قد أخطأ ببندقيته فى الغابات اصابة
ابن عمك .

– ماذا ؟ أطلق شخص النار على فيليب ؟ هل أصيب ؟

– لم يمسس بسوء .. لقد كنت في الخارج . هل شاهدت أى أحد ؟ أى طريق سلكت ؟

– الشرق ، حتى جانب التل . لم أر أى أحد .

والتفت نحوى :

– هل تسمحى أن تخبرينى ما حدث بالضبط ؟!

فقصصت القصة مرة أخرى ، واستمع بدون حركة ،

وعندما انتهيت قال لوالده :

– أعتقد أنك ستعالج هذا الأمر ؟

– نعم .. نعم !

وإثناء حديثه مع راول عما قد فعله ، أخذت أراقب كلا منهما متعجبة من علاقتهما الغريبة ، وارتفعت عيناى للوجه الصغير فوق المدفأة بابتسامته اللامبالية . لا ، أنه ليس راول ، ولا يمكن أن يكون هذا هو راول . فهناك شيء فى وجهه ، شيء قائم وصعب لا يمت للولد الضاحك

في الصورة بصلة • وكان لدى شعور بأن هذا الشاب
أسلس وأسهل في التعرف عليه ••

كان ليون دى فالمرى يتحدث :

— أعتقد أن من الضروري أن تأخذ الأنسة مارتن
إجازة هذا المساء •• لماذا لا تنزلين الى ثونون يا آنسة
مارتن ، بعد ما تضعين فيليب في سريره ؟

فقال راول :

— ولكن لن يكون هناك أتوبيس الى ثونون في ذلك
الوقت • يمكنك أن تأخذى سيارتى • هل تعرفين
القيادة ؟

— لا ، ولكن لا يجب أن تفكر في هذا الأمر . فانا لا
أحلم ••

— هل يمكنك الاستغناء عن برنارد ليقودها يا أبى ؟

— طبعاً ، أرسلته لبحث عن ذلك الأحمق الذى أطلق
النار ، ولكنه لابد أنه عاد • اذن ، أتمنى لك أمسية سارة
يا آنسة مارتن ؟ أمسية للذكرى ؟

فقلت وأنا أفكر في وجه فيليب الملطخ بالوحل
والدموع :

— أعتقد أنها ستكون أمسية للنسيان .

وضحك ليون دى فالى ...

وعبر راؤل الحجرة وفتح الباب لى ، قائلاً :

— عند الثامنة ، إذن ؟

— شكرا !

— سوف أعمل على أن يكون هناك ، أنا ... أرى ...

أرى أننا نتكلم باللغة الفرنسية الآن ؟

وفى تمام الثامنة إختزلت أضواء السيارة الظلام
خلف قضبان الشرفة . كان فيليب قد نام لتوه وكانت
بييرث جالسة مع حياكتها بجانب المدفأة فى حجرة جلوسى
... وبقلب خفيف وخطوة خفيفة ركضت هابطة السلم
نحو أمسىتى للحرية غير المتوقعة .

كانت الكاديلاك تقف هناك ، ومحركها يدور ...
والسائق له قامة طويلة وفى خلفيته الأضواء ، منتظرا
بجانب الباب . فدخلت وأغلقه ورأى ، ولف حول مقدمة
السيارة وجلس أمام مقوده بجوارى . فقلت :

— أنت ؟ لم يكن هذا فى الاتفاق ، اليس كذلك ؟
الم تستطع العثور على برنارد ؟

فضحك راؤل • وتحركت السيارة وغاصت بنعومة
هابطة المنعطفات •• ثم قال :

- نعم ، ولكنى لم أخبره • هل عندك مانع ؟

- بالطبع لا ، هذا لطف منك !

فقال بخفة : ،

- اذا كنت ستتبعين رغباتى فأنى أحذرك •• انى
افعل ذلك دائما •• فهذه هى طريقة حياتى !

- لماذا « التحذير » ؟ هل رغباتك خطيرة ؟

- أحيانا !

وأصبح وجهه جادا بشكل فجائى • وقاد السيارة
لفترة فى صمت وجلست فى صمت أنا أيضا وينتابنى شيء
من الخجل ، أراقب التواءات المنعطفات • واجتزنا الجسر
بحذر متجهين الى الطريق الرئيسى ، مع زيادة السرعة ،
وقال :

- يبدو أنك اجتزت الآن حالة الخوف التى كنت
فيها • هل كنت خائفة ؟

- اليوم ؟ نعم ، كنت • ليس خوفا من أن اقتل أو

أى شيء ، ولكنى كنت خائفة بشكل ما . أعتقد أنها كانت لحظة سماعى الطلقة وفيليب ملقى بمددا امامى على الممر . . . تلك اللحظة بدت وكأنها ستدوم الى الأبد .

— وبعد ذلك ؟

— بعد ذلك كنت حائقة . . حائقة جدا . .

وأضفت محاولة أن أشرح احساسى هذا ، فقلت :

— انه هادىء جدا . فيليب . . هادىء أكثر من

اللازم . . والأولاد الذين فى سنه لا يجب أن يكونوا هكذا

. . واليوم أصبح أفضل ، أصبح يصيح بكلام فارغ

ويتشاقى ويقفز هنا وهناك ، وأصبحت مسرورة بذلك .

وبعد ذلك ، وفجأة . . . هذا الأمر الغظيع !

وجزرت على شففى وتطلعت بعيدا عنه خارج

النافذة . فقال :

— سوف تشعرين بشكل مختلف تماما عندما تنتهين

من العشاء . .

كنا قد وصلنا الى قرب ثونون الآن . فقال راول :

— ماذا تقولين ، هل نقضى ليلة حقيقية في الخارج ؟
.. نذهب الى جنيف ونأكل شيئا ، ثم نرقص أو نذهب
الى سينما أو شيء كهذا ؟

فقلت بسعادة مفاجئة :

— أى شيء .. كل شيء ، أتركه لك ..

فقال راؤل :

— ممتاز !

وعندما وصلنا جنيف .. مدينة متلاثة الأضواء
منعكسة على مياه البحيرة الداكنة .. أصبحت روحى
المعنوية مرتفعة ارتفاع السماء ، ونسيت الصدمة
والوحدة والاحساس بالخطر .

لماذا اعتقدت أنه صعب أن يعرف ؟ تحدثنا كأننا قد
عرفنا بعضنا طوال حياتنا .. وسألنى عن باريس ،
ووجدت نفسى ، ولأول مرة ، أتكلم بسهولة عن أمى
وأبى وبيتنا هناك . حتى سنوات الملجأ أصبحت ذكرى
استطيع التحدث عنها باستمتاع .

وتحدث راؤل بدوره عن باريس التى يعرفها هو ،
مختلفة تماما عن معرفتى بها .. وعن لندن التى بدت

مختلفة ٠٠ وبعيدة آلاف الأميال عن دار الفتيات في شمال لندن ، وعن قصر بلفين الصغير ، المائل في هدوء بين حقول الكروم المتربة في نور الشمس الحارة .

أى شىء ماعدا فالى ٠٠ فلا أظن أنها ذكرت مرة واحدة ٠٠ وفعلنا كل شىء ٠٠ وتناولنا عشاء مدهشا ٠٠ لم يكن المكان على أحدث طراز ، لكن الطعام كان رائعا ، وملابسى لم تكن ذات موضوع . وبعد ذلك ذهبنا الى مكان آخر ورقصنا ، ثم قدنا السيارة راجعين الى ثونون مزجرين على طول الطريق بسرعة جعلت دمي يتسابق مع الاثارة ٠٠ ومع ذلك كنت لا أشعر ، في تلك السيارة المدهشة ، وفي تلك الليلة الجميلة بأى سرعة على الإطلاق !

اندفعت السيارة الكبيرة صاعدة القل المرتفع الى ثونون ، عبر الميدان الخالى ، وتركنا المنعطف الذى يؤدى الى سوبيرو ، فقلات :

— هاى ! لقد تركت المنعطف !

فنظر الى بجانب من عينيه . وقال :

— انى أتبع احدى رغباتى الخطيرة . هناك كازينو في ايفيان ٠٠ !

تذكرت مسز سيدون وابتسمت لنفسى ، وانا اقول
له :

- ماهو رقمك المحفوظ ؟

- لا اعرف بعد ، ولكنى اعرف ان هذه هى الليلة
التي سأجده فيها !

وهكذا ذهبنا الى السكازينو ولعب وراقبته ، ثم
جعلنى اللعب ، وكسبت ٠٠ وكسبت مرات أخرى ٠٠٠
ثم خرجنا وشربنا قهوة مخلوطة بالبراندى ، وضحكنا
كثيرا ٠٠ ثم ، أخيرا ، عدنا الى قواعدنا سالمين .

كانت الثالثة صباحا عندما توقفنا بجوار الباب
الجانبى ، وشكرته وأخذت طريقى الى حجرتى ٠٠

لابد انى كنت أطير فى حلم ٠٠ كان حلما مخيفا ،
مدهشا ، وغيبيا ٠٠ لكنه حدث ، ولم أستطع أن أفعل
شيئا حياله ٠٠

لقد أحببت راؤل دى فالى !!

الفصل العاشر

كان أمرا متوقعا .. ولا بد أن يحدث . لقد جئت مباشرة من حياة هادئة قضيتها في ملجأ وفي مدرسة .. فكيف لي أن أقاوم الوقوع في حب رجل مثل راؤل دي فالى ؟ رجل له سحره وجماله غير العادى ، وتفضل بأن جعل فتاة وحيدة تتمتع بقضاء أمسية سعيدة .. أمسية للذكرى ..

لم يكن الأمر أكثر من ذلك ، وأدركت أنا ذلك تماما .. وبالرغم من كمية القراءات الرومانسية ، والعديد من الأحلام الوردية ، فلا يزال عندى كثير من التفكير الفرنسى العاقل .. لقد أخذت نصيبي من أمسية جميلة .. أما الغد فانه يوم آخر ..

وهكذا أصبحت ٠٠ وبعد الافطار اختفت الكاديلاك
أسفل المنعطفات ، وأعتقد أن راؤل كان عائدا الى
بلفين !

لم يعترف أحد باطلاق النار ، وكان هناك أمل ضئيل
في اكتشاف المزيد . وعادت الحياة الى نمطها المعهود ،
فيما عدا الاهتمام بحفلة عيد الفصح القادمة والتي كانت
تعقد طوال سنين عديدة في فالى يوم الاثنين من عيد
الفصح ٠٠

قالت بيرث :

— وفي الليلة التالية ، نعقد نحن حفلة رقص لجميع
العاملين بالقصر ، تحت في سوبيرو . والجميع يذهبون
الى هناك !

اختلط سرورى بفكرة حفلة الرقص بالقلق لعدم
وجود ثوب عندي لأرتديه في حفلة الرقص هذه . أعرف
كيف أحيك الملابس ، ولقد وفرت معظم راتبي ٠٠

وفي يوم الأجازة التالى نزلت الى ثونون بالأتوبيس
لأشتري قماشاً لثوب يصلح للرقص ٠٠ وأخيراً عثرت
على قماش ايطالى أبيض جميل منسوج بخيوط رفيعة

من الفضة • كان مرتفع الثمن جدا ، وترددت لعدة دقائق ، ولكنى اشتريته ..

كانت الساعة الخامسة تقريبا في يوم عاصف من شهر ابريل ، مع رذاذ مطر معلق في الهواء • وقررت ان احتسى فنجانا من القهوة ، فأخذت طريقى عبر الميدان الى مطعم حيث موائده المرصوفة في الخارج تحتمى بزجاج واق • وأخذت أبحت عن مائدة ، عندما سمعت صوتا من خلفى ينادينى :

— آنسة مارتن ؟

والتفت مندهشة لأن الصوت هذا كان انجليزيا • انه الشاب الأشقر الذى التقيت به عند الصيدلى • لقد نسيت كم كان شابا ضخما عملاقا • جعلنى أفكر الآن في دب ضخم خجول • وقال :

— هل تذكرينى ؟ لقد التقينا في سوبيرو !

— طبعا أذكرك يامستر بليك • آمل الا تكون قد استخدمت أيا من تلك الضمادات والاسعافات الأولية ؟ فابقسم وقال :

— ليس بعد • هل كنت • هل كنت ستجلسين ؟ هل اطلب لك بعض القهوة ؟

شكرته ، وجلسنا بجانب الزجاج .. واثناء
احتسائنا القهوة ، سألنى عن أخبار فاملى .. فاخبرته
عن بعض تفاصيل ما قد حدث فى يوم الثلاثاء بعد الظهر
.. فأنصت بانتباه عظيم وبنظرة مصدومة تبدو فى عينيه
وسال :

- ماذا فعل دى فاملى حىال ذلك ؟

- أوه ، انه لايزال يتقصى .

- والابن كان هنا ، أليس كذلك ؟

فشعرت بالدم يرتفع الى خدى ، وقلت :

- كان .. لكن لا يمكنك بالتاكيد .. لا يمكن ان
يكون هو !

- لا ؟ شخص آخر كان معه فى ذلك اليوم ؟
فقلت بسرعة :

- انه .. انه لا يمكن ! وكيف حال اشجار
الصنوبر ؟

واخذ وليم ، فى الحال ، يتكلم بسعادة عن عمله ،
حتى لاحظ فجأة مرور الوقت .. كان ينوى زيارة بعض

الأصدقاء في ايفيان • وكان عليه أن يلحق بالأتوبيس •
وبعدها بلحظة دفع الحساب واندفع مسرعا •

كنت على وشك عبور الطريق عندما وقفت سيارة
كبيرة بجانبى •• كاديلاك •• وبدأ قلبى يدق بسرعة ،
ثم سمعت صوت راؤل وهو يسألنى :

— أذهبة في طريقى ؟

كان بمفرده في السيارة ، فركبت بجانبه بلا كلمة ،
وتحركت السيارة عبر الشوارع المضيئة بأنوار ساطعة
•• وعندما بدأنا نصعد نحو التلال ، اظلمت الدنيا من
حولنا •• كان يقود مسرعا جدا ، ولم يتكلم •• وقلت
أخيرا :

— رجعت بسرعة • لم تذهب الى بلجين ، اذن ؟

— لا ، كان لدى اشغال في باريس •

فأسندت ظهري الى الخلف في صمت • انه يقود
دائما بسرعة ، لكن هذا المساء كان يكاد يصل الى
حافة الخطر • يبدو أن أمرا ما قد أساءه وعكر مزاجه •
وسألنى :

— من كان ذلك الشخص ؟

جاء السؤال فجأة كاسرا سكون الصمت حتى أننى
قفزت ، وقلت بغباء :

— أى شخص ؟

— الرجل الذى كنت معه فى المطعم ..

فتذكرت وليم وقلت :

— أوه ، هو . أنه صديق لى !

— كنت أظن أنك لا تعرفين أحدا هنا .

فقلت بطريقة طفولية :

— حسن ، أنا أعرفه .

كان على أن أجاهد لاحافظ على ثبات صوتى ..
كان التغير فيه منذ الليلة الماضية عظيما .. شتان بين
الرجلين ، لكن تظل الحقيقة واضحة :

انى أصبحت أحبه .. لم يكن من تأثير النبىذ أو
أنوار النجوم والخلفية الرومانتيكية .. ولا حتى من
السحر الذى فاض منه .. والآن المطر ينهمر فذاب
للسحر وتلاشى .. ومازلت مع ذلك واقعة فى حب هذا
الغريب ذى الصوت البارد ..

- من هو ؟ انجليزى ؟ هل كنت تعرفينه فى انجلترا ؟
هل هو يعيش هنا منذ فترة طويلة ؟

فقلت :

- لحظة من فضلك .. هل هذا يهم فى شىء ؟ لماذا
تسأل كل هذه الأسئلة ؟

ومرت برهة صمت ، ثم قال بجمود :

- أنا آسف . أنا لم أقصد أن أتقصى شئونك
الخاصة !

- انها ليست خاصة .. مجرد أننى لا أريد أن
أخبرك ..

عندئذ لم يكن هناك أى شك بخصوص غضبه ،
فقاد السيارة مارا بجسر فالى وصاعدا المنعطفات
بسرعة مضاعفة عما يجب أن يفعل . فقلت :

- أنا أسفة . أعتقد أننى متعبة . لقد مشيت فى
ثونون حوالى ساعتين ، باحثة عن قماش لثوب لى ..
أوه ! لا بد أنى تركته فى المطعم ! لقد وضعته تحت المائدة ،
ثم أنسانى وليم .. أوه !

وهنا أطلق نفير السيارة بحدة ، فقلت :

- ما هذا ؟

- حيوان على الطريق . لم أستطع أن أرى ما هو !

- هل لابد أن تقود بهذه السرعة ؟ انها تخيفنى !
فأخفضت سرعة السيارة . .

- هل أخبرته عن اطلاق النار ؟ هذا . . وليم هذا ؟

فقلت بوضوح :

- نعم ، قلت له . . ولم أعرف أنه من المفروض على أن أقدم لمستخدمى تقرير عن كل شىء قلته وفعلته فى يوم أجازتى !

فقال من بين أسنانه :

- أنا لست مستخدمك !

- اذن لماذا تريد أن تعرف ماذا أفعل . . أو من أقابل . .

كنا عند آخر صعود للمنعطفات . . ووقفت الكاديلاك

وقفة مفاجئة وتعطل محركها وتراجع راؤل دى فالى
ومال نحوى ، وقال بعنف فجائى :

- لماذا ؟ لأنى أريدك لى وحدى ، أيتها الحمقاء
الصغيرة ! ألا تستطيعين ملاحظة ذلك ؟!

وبعدها أعاد تشغيل السيارة مرة ثانية وانطلق
صاعدا الى الساحة الخارجية بدون كلمة أخرى .

وقفزت خارجه .. وصعدت راكضة السلالم الى
الباب الأمامى .. ولحقنى ، وفتح لى ، قائلا شيئا ما
بصوت منخفض مع ضحكة صغيرة . لم أنظر اليه ،
وسرت أمامه مباشرة نحو ليون دى فالى ، الذى كان
يعبر البهو .. فأوقف كرسيه ، والتفت برأسه ليحيينى
.. ثم ذهبت عيناه من وجهى الى وجه راؤل ، ثم عادت
ثانية ، وارتفع حاجباه قليلا .. واستدرت وركضت
صاعدة للطابق العلوى .. !

الفصل الحادى عشر

استندت على باب حجرة نومى ، وأنا أحس بأن وجهى ساخن من شسدة احساسى بالشغل . تبا له راؤل ! .. انه يسخر منى ، ويلعب بى ، لأكون مجرد فتاة أخرى فى قائمة انتصاراته العاطفية .. كيف له أن يجرؤ ويعاملنى بهذا الشكل ؟ .. تبا لليون أيضا .. تبا لجميع أفراد عائلة دى فالى .. انى اكرهم .. أنا لا أريد أن أرى أحدا منهم مرة ثانية !

ومع هذا التفكير ، توقفت عن خلع معطفى ... من السهل على ليون دى فالى أن يخمن ما قد حدث ، ومن المحتمل أن يستغنى عنى !

وأثناء تعليقى لمعطى على الشماعة شعرت
بالبؤس تماما لفكرة أنى لن أرى أيا من أفراد دى فالى
الكريهين مرة أخرى .

ومشيت عبر حجرة الجلوس الخاصة بى الى حجرة
الداسة . كان الضوء ساطعا ، ولكن لم يكن أحد
هناك . وكانت احدى النوافذ مفتوحة ، والستارة تتحرك
قليلا بسبب الريح .

شعرت بالديرة وتنطاعت الى الساعة . لابد أن
فيليب قد عاد بالتأكيد من زيارته لدام دى فالى ؟
وذهبت لأضع كتلة حطب فى المدفأة عندما سمعت الصوت
.. كان صوتا خافتا جدا .. لكنه جعل أطرانى تتجمد
من الرعب . كان الصوت وكأنه يقول « مدموازيل ! »

جاء الصوت عبر النافذة المفتوحة ، فاندفعت عبر
الحجرة ، وخرجت الى الشرفة المظلمة . وناديت :

— فيليب ؟ !

كانت أطراف الشرفة غارقة فى ظلام دامس ، بينما
كانت أرضية الشرفة زلجة بسبب المطر . وناديت مرة
أخرى :

— فيليب ؟ فيليب ؟

فجاءتني همسة صغيرة مفزعة من الزاوية الحالكة
الظلمة .. كان راقدا على كومة صغيرة مقابل جانب
الشرفة ، أو بالأحرى ، حيث كان الجانب موجودا ،
فالافريز لم يعد موجودا ، وكان سلم العمال الخشبي
موجودا هناك بدلا منه ، هذا السلم الذى وضعته بنفسى
ذلك الصباح ، عندما لاحظت أن الحجر غير ثابت ..
وكان تحت ذلك فراغ من العتمة ومسقط مسافته عشرة
أمتار الى الساحة الخارجية ، وذلك الصف المرعب من
القضبان الحديدية المدببة .. !

— أوه ، فيليب يا صغيرى ، هل أنت على مايرام ؟
والتقطته بين ذراعى ، وكان خفيفا جدا ، كان يبدو
وكأنه مجرد حزمة من عظام طائر صغير ، وحملته الى
داخل الحجرة وأجلسته بجوار المدفأة . وسأله :

— والآن ، أخبرنى بما حدث يا حبيبى .. هل سمعت
السيارة وركضت خارجا الى الشرفة ؟
فأوما برأسه . فقلت له :

— ولكنى حذرتك بأن الحجر سائب .. ويمكن أن
يقع !

— سمعت النفير ، فتذكرت .. كان أبى يستخدم
دائما النفير عند عودته من بعيد ، ليخبرنى أنه قادم .. !

بالطبع ، كان راؤل هو الذى أطلق النفير .. انه
لم ير شيئاً فى الطريق ، هل كان هناك حيوان بالفعل ؟

- ضربت الحجر ، فلم يعد له وجود .. لقد سقط
محدثاً صوتاً عالياً ، وصدمت فى شىء ثم سقطت .

- لقد صدمت فى السلم الخشبى .. حمداً لله أننى
وضعتته هناك : أوه ، انك مبتل وتشعر بالبرد .
وأخذت أفرك يديه الصغيرتين . وقال :

- لم أجرؤ أن أتحرك . كنت أعرف أنك سوف
تعودين .. ولذلك انتظرت .

- وهأنذا قد جئت . حمداً لله !

وعندئذ خطرت فى ذهنى فكرة أخرى ، فسألته :

- فيليب ، أين كانت بيرث ؟ كنت أظن أنها كانت
معك ..

- جاءها برنارد ، وأرادها لأمر ما .

- فهمت . حسن ، اذهب الآن واخلع ملابسك
المبتلة ، وسوف أحضر لك الحمام .

وزهبت لأفتح الماء في الحمام وضربت الجرس
لبيرث ، وبمجرد أن أغلقت الماء ثانية سمعت طرقا على
باب حجرة نومى . لم تكن بيرث ، بل مدام دى فالى ،
فتطلعت اليها باندعاش : وهى لا تأتى عادة الى هذه
الحجرات ..

كان هناك تعبير غريب يبدو واضحا في وجهها .
وقالت :

- آنسة مارتن .. هل أنت .. تذ .. تذكرت ان
تحضرى دوائى معك اليوم ؟

- نعم يامدام ، تذكرت ، سأذهب واحضره لك في
الحال !

- أنا أسفة لأزعاجك وأنت تغيرين ملابسك .

- أوه .. الحمام ، تقصدين . لا ، انه ليس لى ،
انه لفيليب ..

وناديت :

- فيليب ، حمامك جاهز !

وزهبت الى حجرة جلوسى لأبحث عن حقيبتى .
كنت أفكر في الطريقة التى سأخبرها عن نجاته من موت

محقق ، ولكن عندما استدرت عائدة اليها ثانية ورأيت وجهها ، توقفت من الرعب . كانت تتطلع الى الحمام ، وكأنها تتصنعت على فيليب في حمامه ، ولكن كانت عيناها مغلقتين وخداها رماديين .

— مدام ، هل أنت مريضة ؟

— لا ، لا . ساكون على مايرام بعد قليل . . . أين اقراصى ؟

— لابد أنها في جيب معطفى . نعم ، هاهى !
فقبضت على العلبة الصغيرة التى ناولتها لها ،
وقالت :

— شكرا لك . لا تقلقى على يا آنسة مارتن . .
هذه الأمور تمر ببساطة . .

ونظرت تجاه الحمام ، حيث كان فيليب يصدر
كثيرا من الضجيج وقالت :

• — يبدو على فيليب . . أنه سعيد جدا .

فقلت بابتهاج :

— أوه ، نعم . . انه بخير !

وفتحت الباب لها ورأيت بيرث فى الخارج ، على
وشك أن تطرق الباب ، فقلت :

- أوه ، بيرث ، المدام تبدو متعبة بعض الشيء ،
اصحبىها الى حجرتها ونادى على ألبرتين ، هل هذا
ممكّن ؟ .. وانتظرى حتى تحضر ، ثم عودى الى هنا
ثانية .

- حاضر يا آنسة !

كان علقى مشغولا بسؤال جديد الآن .. ما هو
هذا الدواء الذى كانت مدام دى فالى فى حاجة اليه بهذا
الشكل الملح ؟ لقد كنت أفكر أنه عبارة عن أقراص
منومة .. ولكنها كانت تبدو كأنها تعاني من نوبة قلبية
أو عصبية . ولايمكن أن تكون الأقراص المنومة مفيدة
لذلك ..

وخرج فيليب من الحمام مرتديا ملابس النوم ،
فقلت له :

- فيليب ، اننا لن نخبر بيرث عن .. مغامرته .
ان زوجة عمك صحتها ليست على مايرام ، ولا أريدها
أن تتكرر فى الوقت الحالى .

- حسن ، ولكن .. سوف تخبرين عمى ليون ،
اليس كذلك ؟

- طبعاً . انه لمن المدهش انه لم يسمع سقوط
الحجر بنفسه . كان في البهو عندما دخلت ، وكان ذلك
بعدها بلحظات قليلة فقط .. آه ، بيرث . كيف حال
الدام ؟

- أفضل يا آنسة .. انها راقدة الآن .. البرتين
تقول انها سوف تكون بخير وستنزل للعشاء .

- أنا سعيدة لأسمع ذلك .. هل .. تناولت
أقراصها ؟

- أقراص ؟ لا يا آنسة ، انها كانت في حاجة لدواء
القلب . انها تحتفظ به بجانب فراشها . البرتين أعطته
لها ..

- فهمت .. على فكرة يا بيرث ، اليس من المفروض
ان تكونى في جناح حجرة الدراسة أثناء وجودى في
الخارج ؟

- نعم يا آنسة ، ولكن برنارد جاء من أجلى ..
كان يريد شيئاً كنت أحيكه للسيد .

ورمتنى بنظرة جانبية ، فتذكرت كلام مسز سيدون
وقلت :

- فهمت • حسن ، كان يجب الا يبعدك هذا طويلا

- لا يا انسيسة ، ولكنه لم يكن فى المكان الذى
وضعتة فيه • لقد حركه شخص ما من مكانه •

- حسن ، السيد فيليب خرج ليلعب فى الشرفة ،
وبل نفسة ، لذلك من الأفضل أن يتناول عشاءه فى
فراشه •

- نعم يا انسيسة ، ولكن تعرفين •• برنارد كان
متعجلا وهو

وقطعت كلامها ، وأصبحت فى لون قرنفلى ، فقالت
فى نفسى :

- ولكنك كنت تودين ذلك ••

وتناولت العشاء مع فيليب ، وبعد ذلك قرأت له
قصة •• ولكنى عندما خرجت متجهة الى المطبخ
لأحضر له مشروبہ المعتاد قبل النوم ، أصر على
مصاحبتي •• وتركته يراقب الحليب على الموقد أثناء
وضعى معيار الكاكاو والسكر فى الفنجان الأزرق الذى

اعتاد على استعماله ، وبقيت معه حتى شربه ، ثم قبلته
قبل النوم ، ولكنه تمسك بى بشكل ملح ، فقررت الا
انزل لمقابلة ليون دى فالى فى تلك الليلة .

وأخذ فيليب للنوم أخيرا ، ولكن عقلى كان مفعما
بالقلق ، فلم أستطع أن أرتاح . . . وعندما سمعت - فى
وقت متأخر - صوت سيارة قادمة صاعدة المنعطفات ،
قفزت على قدمى ، وتسحبت بهدوء خلال الظلال الى
باب حجرة فيليب . كانت أعصابى مشدودة ومتوترة .

كان نائما ، فعدت الى حجرة نومى ، وكنت أعد
نفسى لدخولى الفراش عندما طرق شخص ما على
الباب برقة ، ففقت مندهشة بعض الشيء :

- من بالباب ؟

- بيرث يا آنسة !

كانت تحمل لفافة ، ورمقتنى بنظرة فيها غرابة
وقالت :

- هذه لك يا آنسة . فكرت أنك قد تكونى فى
فراشك ، ولكنى أمرت أن أحضرها لك فى الحال .

تملكتنى الحيرة ، فجلست على السرير ، وفتحت
اللفافة ٠٠ وظلمت جالسة لبعض الوقت ، ناظرة الى
للقماس الأبيض المطرز بالخیوط الفضية ٠٠ وعندئذ
لاحظت ورقة بها رسالة تقول :

— آسف اذا كنت قد آذيت شعورك ٠ كان يقلقنى
امر ما ، ولكن هذا ليس بعذر ٠ لقد أحضرت لك
لغافتك ! ٠٠ هل ستغفرين لى ، من فضلك ؟ ٠٠ راؤل ٠

الفصل الثانى عشر

وفى الصباح التالى بدا كل شىء وكأنه حلم • غادر
راؤل فالى مبكرا ، هذه المرة الى الجنوب وبلفين ، ولم
أره وهو يذهب •

وعندما ذهبت الى المكتبة لأخبر مستخدمى عن
نجاة فيليب الثانية ، كان جالسا خلف المكتب الكبير •
استمع الى قصتى بنظرة غريبة قاتمة ظهرت واضحة
فى عينيه ، ثم جلس بعدها فى صمت لمدة دقيقة ، فانتابنى
شعور بأنه قد نسى وجودى هناك ••

بعدها قال فجأة :

— ثانية ١٩

فقلت مندهشة :

— مسيو ؟

— هذه هي المرة الثانية في أيام قليلة يا آنسة
مارتن ، نبدى لك شكرنا .. لنفس هذا السبب المزعج .
فقلت :

— أوه ، فهمت ، ليس هناك مدعاة لذلك . أى
أمرىء

— أى أمرىء كان قد فعل نفس الشيء ؟ لا يا آنسة
مارتن ، مازلت أعتقد أننا محظوظين بوجود .. فتاة
كفء مثلك للاعتناء بفيليب . متى وضعت السلم الخشبي
هناك ؟

— بالأمس فقط ..

— حقا ؟ .. وما الذى جعلك تفعلين ذلك ؟

— قبل ذهابى الى ثونون خرجت الى الشرفة لأرى
لذا كانت السماء ستمطر .. كان السلم الخشبي
معددا هناك ، فظننت أن العمال كانوا هناك .. ولاحظت
أن الحجر كان سائبا ، ولكنى كنت في عجلة من أمرى
للاحاق بالأتوبيس ، ولذلك ، ما كان على الا أن ادفع

بالسلم الخشبي أمام الحجر . كان يجب على أن أخبرك
في الحال . . . انى . . . انى فى غاية الأسف !

- لاداعى لأسفك ، فلا يمكن أن تعرفى أن الحجر
سائباً بهذا الشكل . سوف اقيم مشكلة بخصوص ذلك ،
ولكن دعينا نمتن لعدم وقوع أى مكروه !

تكلم بهدوء شديد لدرجة أنى رميته بنظرة اندهاش
حادة ، فرد لى نظرتى بنظرة منه . وقال :

- حسن يا آنسة مارتن ؟

فقللت فى ارتباك :

- لا شىء ، أنا . . . انك تأخذ الموضوع ببساطة .
لقد توقعتك أن تكون غاضباً . . .

فقال :

- ولكنى غاضب ، غاضب جداً . . . !

والتقت عيناي بعينه فى هذه اللحظة فأدركت أنه كان
يقول الحقيقة . . . وواصل حديثه :

- . . . ولكن لكونى رجلاً عاقلاً ، فانى احتفظ
بغضبى لهؤلاء الذين يقع عليهم اللوم . . . عندما يكون
المرء عاجزاً يا آنسة مارتن ، فعليه أن يتعلم تجنب

المجهود غير المجدى .. ماهو الذفع من وراء الصياح عليك ؟ وأنت لا لوم عليك .. كيف حال فيليب ؟

— فيليب ؟ أوه ، كان خائفا ومتكدرا ، لكنه على مايرام الآن .. بل انه حتى فخور بعض الشيء بمغامرته ..

وأضفت قائلة :

— متى يأتى مسيو هيبوليت للبيت ؟

فأدار رأسه بسرعة ، وتحرك الكرسي بشكل مفاجيء لدرجة أن الذراع اصطدم بحافة المكتب ..

فصرخت قائلة :

— لقد أصبت يدك ! انها .. انها تدمى !

— انها لا شيء .. ماذا كنت تقولين ؟

— تساءلت متى يأتى هيبوليت عم فيليب للبيت ؟

— ليس عندى أى فكرة .. ولكن لماذا ؟

تطلعت لأراه يراقبنى ، وكان هناك شيء ما فى حلقته الهادئة الجمنى ثم أرخى عينيه القاتمتين ، وحرك سكين قطع الأوراق الملقاة على المكتب بضعة سنتيمترات الى أحد الجوانب ، وكرر قائلا :

- لماذا تسألين ؟

- لأن فيليب يسألنى دائما ، وأنا اتساءل اذا كنت قد سمعت من مسيو هيبوليت ؟

- آه ، حسن ، مع الأسف ، أنا لا أعرف بالضبط .
.. ان أخى مقصر فى كتابة الرسائل ، لكنه سيتأخر
ثلاثة شهور أخرى على الأقل .. أعتقد أن فيليب يعرف
ذلك ..

ورفع سكين قطع الأوراق ، ووضعها حيث كانت
بالضبط من قبل ، رابتسم بطريقة ساحرة ، وقال :

- حسن يا آنسة مارتن ، اننى لن أعطلك ، ومازالت
أرى أن أستخدم بعض ذلك الغضب فى اتجاهه الصحيح !

واتجه الى التليفون ، وهربت أنا من المكتبة . كنت
أفكر .. لماذا يجعلنى دائما أشعر مثل فأر بين مخالف
قط ، مخالف لطيفة ، ولكنها مهددة ؟

كنت أفكر أيضا فى ذلك الغضب الذى نوقش أكثر
من اللازم . كان لدى الاحساس بأنه - مهما قال -
فبعضه كان موجها مباشرة الى ..

لم يعد باقيا الا أسبوعين فقط على حفلة عيد
الفصح ، وكان لدى عمل كثير أقوم به للانتهاء من
ثوبى • أقرضتنى بيرث ماكينة الخياطة التى تستخدمها
لأجل خياطة البيت البسيطة ، وحيث أنها كانت فى نفس
حجمى ، لذا وافقتنى على أن أفصل الموديل عليها •

ومع مضى الأيام ، أصبح القصر مليئا بالنشاط
والحيوية ، وإذا كان هناك أى نقص فى المال حقا هذا ،
فلن يستطع أحد أن يخمن ذلك • • وفتحت حجرات
النوم نادرة الاستخدام ، لقدوم ضيوف فى نهاية
الأسبوع ، وفتحت قاعة الاحتفالات الضخمة وحجرة
الحلوس الكبيرة ، وغسلت المصابيح ولمعت المرايا ونقل
الأثاث والسجاد من مكان لآخر • • وكان كل شيء تحت
أمره مسبو دى فالى بعينه الثاقبة • • وكان كرسيه
يتحرك فى كل مكان ، وصوته كان يسمع فى كل حجرة •

وهكذا ، قطعة قطعة ، وركنا ركنا ، أصبح المنزل
الكبير معدا لحدث العام • وبدأت الاثارة تتكثف فى
الهواء مع اقتراب موعد عيد الفصح •

وعندئذ جاءت اللمسات الأخيرة ، قدم احضار
مئات من الزهور وضعت فى زهریات ، ورتبت على

جوانب قاعة الرقص والقاعة الكبيرة ، كما وضعت
أحواض ضخمة من الماء في الأركان ، محاطة بالنباتات
وشجيرات صغيرة ، وثبتت الأضواء الملونة حول
الساحة الخارجية كلها ..

كان قصر دى فالى يحتفل .. !

وفي يوم السبت وصل الضيوف . ولم يكن هناك
أى أثر لراؤل ، كما لم يأتى ذكره مطلقا . هل سيأتى ؟
أوه .. هل سيأتى !؟

بقيت أنا وغيليب بعيدا عن طريق الضيوف ، في
جناح حجرة الدراسة . وفي مساء الأحد ، بعدما ذهب
غيليب الى فراشه ، كنت أنهى العمل في ثوبى ، ولقد
بقيت بيرث لتساعدنى .. فارتدته وهى تلف حول نفسها
أمامى ، بينما كنت أراقبها بعين ناقدة . وقالت :

— أخشى أنه سيبدو صناعة منزلية ، بجانب
الأثاث الرائعة بالطابق السفلى . هل مسيو فلوريمون
هنا ؟

— أوه ، انه يأتى دائما . انه يقول دائما أن لاشيء
يجعله يغيب عن هذا اليوم مهما كان .. انه يصمم نصف
ملابس السيدات ، على كل حال .

- ومسيو راؤل ؟ هل يأتى عادة ؟

كانت هناك لحظة صسعت صغيرة ، رمتنى بيرث
بنظرة جانبية وقالت :

- انه لم يحضرها منذ سنوات ، ولكنهم يتوقعون
مجيئه هذه المرة !

وبدأت التقط الدبابيس المتناثرة فوق الأرض . وبعد
لحظة ، قالت بيرث :

- لماذا لا تجربيه عليك الآن يا آنسة ؟ أريد أن أراه
عليك ..

- وهو كذلك !

وذهبت الى حجرة نومى .. وساعدتنى فى ارتداء
الثوب .

- هل أساعدك فى ارتدائه غدا يا آنسة ؟

- أوه بيرث ، كم هذا لطيف منك ! طبعاً أحب ذلك
جدا ..

وأخذت التفت يمناً ويسرة أمام المرأة . وقالت
بيرث :

- أوه يا أنسة ، انك تبدين جميلة ! لن يكون هناك
شوب أجمل منه أنه لشيء مؤسف لعدم وجود امرأة
أفضل لترين نفسك كاملة .

- قالت لى المدام انى أستطيع استخدام المرأة التى
فى حجرتها . سأذهب هناك وألقى نظرة ..

كانت هناك حجرة جلوس صغيرة تؤدى الى حجرة
نوم مدام دى فالى .. ذهبت من خلالها ، تاركة الباب
مفتوحا . كانت حجرة جميلة ، كلها أضواء ناعمة
وحرير وردى اللون .. ووقفت أمام المرأة الضخمة ،
مع الستائر الحريريّة الوردية من خلفى .. وأثناء
تحركى كانت الخيوط الفضية تسطع فى الغلالة البيضاء
للجونلة .

وكان هناك شخص يقف بباب الحجرة ، وجاءت
خطوات سريعة عبر الحجرة . وسمعت صوت راؤل
وهو يتسائل :

- هيلواز ، هل تريديننى ؟

عندئذ رأتى ، فتوقف فجأة ، وقال :

- لماذا .. هالو ..

كان يلهث بعض الشيء ، وفتحت فمى لأرد عليه ،
ثم تلعثمت ، فأغلقتة ثانية ، ولم أكن أستطع الحديث
إذا حاولت ..

للمت ثوبى وتحركت نحو طريق الباب ، حيث كان
يقف .. ولم يتنحى جانبا ، بل اتكا على حافة الباب ،
وقال :

- لا تهربى دعينى أنظر اليك !

- يجب على .. أقصد ، من الأفضل لى .

لست متأكدة مما حدث بعد ذلك . أعتقد أنه تحرك
- لا .. !

ثم قلت أيضا :

- وهو كذلك . هل تريد أن تهربى فعلا ؟

وأعتقد اننى قلت ، بطريقة ما :

- لا .. !

ثم قلت أيضا :

- راؤل !!

عندئذ جاء مبتعدا عن عضادة الباب .. ثم عبر
الحجرة وأخذنى بين ذراعيه . وأزعجنى ضوء الحب

الملتهب في عينيه ، ولكن ، الى حد ما ، ارضى اعظم
احلامى الرومانتيكية ..

وانفلت منه أخيرا قائلة :

- ولكن راول ، لماذا ؟

- ماذا تقصدين ، لماذا ؟

- لماذا أنا ؟ المربية الصغيرة .. وأنت .. يمكنك
الحصول على أى فتاة .. لماذا ؟

فأخذنى بيديه وأدارنى لأواجه المرأة ثانية ، وقال :

- لاداعى أن تحطين من شأنك ، أيتها المخلوقة
الجميلة ! أنظري الى نفسك . هذا هو الرد على :
لماذا ؟

كان هناك صوت خافت جاء من الحجرة الأخرى ،
فأدار رأسه بحدة ، ثم تركنى أفلت من بين يديه ،
وقال :

- آه ، هيلواز ، اننى أبحث عنك ، أعتقد أنك
تريدننى !

لقد كنا واقفين على مدى رؤية أى شخص يدخل

الى حجرة الجلوس ، حيث أصبحت هيلواز دى فالى
الآن ، تتحدث الى شخص ما خلفها ، وكانت البرتين
بجانبيها ..

كان من المستحيل القول اذا كانت مدام دى فالى
قد رأت راؤل ممسكا بى أم لا ، ولكنى أدركت أن
البرتين قد رأتنى ..

- مدام .. كنت أستخدم مرآتك لأجرب ثوبى ..
انك قلت أنى أستطيع ذلك ..

نظرت بعينيهما الرماديتين الى من فوقى الى تحتى
بدون تعبير ، وقالت بصوت بارد :

- طبعا .. هل هذا هو الثوب الذى قمت بتفصيله
بنفسك ، يا آنسة مارتن ؟ انه جميل جدا ! لابد أنك
ماهرة مع إبرتك ..

فقلت فى نفسى : لابد أنها رأتنى بالفعل !

- تصبحى على خير يامدام .. تصبح على خير
مسيو .. وتسلمت خارجة الى الممر ، وركضت عائدة
الى حجرتى ..

وفى اليوم التالى قضيت كل وقتى مع فيليب .

ولحسن الحظ لم يكن على أن اقابل مدام دى فالمرى ..
وبعد الغداء احضرت لى البرتين رسالة شفوية : هل
يمكن أن نسمح بأخذ جولتنا اليوم فى اتجاه القرية ،
حيث أنه لا يمكن الاستغناء عن أى واحدة من الخدم ؟
وأثناء حديثها ، كانت الكراهية واضحة فى صوتها
ووجهها ..

ووافقت بأدب ، وأخذت فيليب وهو غير راغب
ونزلنا الى سوبيرو . وقأت لنفسى بثبات أن كراهية
البرتين لن تؤثر فى . ولكنى كنت مخطئة .

وبينما كنت على وشك الدخول الى الصيدلية ،
خرجت البرتين نفسها .. البرتين ، التى « لا يمكن
الاستغناء عنها اليوم » ! . فحملت فيها باندهاش ..
فلم تظهر فى وجهها أية علامة من علامات الارتباك ..
ولكنها رمتنى بأحدى نظراتها الجانبية الباقمة ، ودخلت
الى محل الحلوى الذى يقع خلف المقهى مباشرة .

كان تصرف الصيدلى معى ، عندما دخلت المحل ،
باردا جدا . وكان هذا ليس بالشئ غير العادى ،
ولكنى عند خروجى من المحل التقيت وجهها لوجه مع
مدبرة منزل القسيس ، وفى هذه المرة لم يكن هناك أى

شك ازاء التغير . فبدلا من ابتسامتها الصمدوقة ،
اعطتني ايماءة مقتضبة ، مصحوبة بحملقة باردة !

وفيما بعد ، عندما اشتريت بعض الشيكولاتة من
محل الحلوى ، لاحظت أن ابتسامة المدام السمينية
أصبحت صارمة قليلا . وكانت عيناها السوداوان
فضوليتين وهى تقول :

- ومتى ستتركينا يامدموازيل ؟

فقلت ببرود :

- اننا لا نذهب الى ثونون من فترة طويلة ،
يامدام . ان مسيو هيبوليت غير متوقع حضوره قبل
ثلاثة أشهر .

وأثناء عودتنا سسائرين فى شارع القرية لاحظت
حملقات وهمسات أخرى . لقد قامت البرتين بعملها
جيذا ، حسن : وكانت الأخبار تغطى كل سوبيرو .
لكن أى أخبار ؟ ترى ما الذى قالته لهم عن راؤل
وعنى ؟!

وبعد تناولى الشاى ذهبت لأبحث عن مسز سيدون ،
فهى قد تحكى لى - على ما أعتقد - ماهى القصص
التي تدور بين الخدم . ولكنى علمت أن الاثارة والعمل

الزائد قد جلب لها احدى نوبات الازمة الربوية المريضة
بها .. ولقد ذهبت الى فراشها ، وغير مستعدة للتحدث
مع احد ..

كان فيليب متكدرا أيضا : كان يشعر بأنه منسى
وبعيد عن كل هذا الاهتمام ، ورفض أن يذهب الى
فراشه تماما الا اذا سعدت « في منتصف الليل » وأخذه
ليلقى نظرة على الرقص . وبعد أن وعدته رضى .
وذهب مع بيرث ، وذهبت أنا لأجهز حمامى .

كان يجب على أن أكون سعيدة وأنا مرتدية ثوبى
الجميل لأول مرة أرقص فيها .. مع وجود راؤل فى مكان
حابين الراقصين .. ولكن كانت تجرى فى ذهنى فكرة :
أنهم قد يستغنوا عنى ويطردونى .. ليبعدونى عن عالمى
.. وعن راؤل .. حتى حديث بيرث لم يبهجنى كما كنت
أتوقع ، بل لاحظت أنها اثناء مساعدتها لى فى ارتداء
الثوب ، كانت صامتة ورسمية بشكل غير عادى ..

وسمعت طرقا على الباب ، وذهبت بيرث لتفتحه ..
وعادت وهى تحمل صندوقا وقالت :
« هذا لك !

كان الصندوق خفيفا ومفلطحاً ٠٠ ومن خلال
الغطاء البلاستيك استطعت أن أرى زهوراً رقيقة بيضاء
في لون الحليب على أغصان خضراء خضرة داكنة ٠٠
مع بطاقة ظاهرة بين الأغصان ، بها حرف واحد كبير
واسود : « ر »

وانهيت ارتداء ثوبى فى صمت ، ثم شبكت الأزهار
على ثوبى ، وذهبت نحو الموسيقى والضحك ٠٠

الفصل الثالث عشر

كانت حفلة الرقص قد بدأت منذ قليل ، وكنت ممتنة لأرى أن مسيو ومدام دي فالمر قد انتھيا من استقبال ضيوفھما وكان مكانھما عند نهاية السلم الكبير خاليا •
ترددت عند قمة السلم ، غير راغبة في النزول على السلالم العريضة بمفردي • عندئذ مر من جانبي ثلاث نساء ، فتمكنت من النزول خلفھن •

كان من السهل التسلل الى حجرة الرقص دون أن يلاحظني أحد • • وعثرت على ركن محمي بصف من الأزھار ، وجلست بهدوء لأراقب الراقصين والراقصات •

كانت هيلواز ، رائعة المنظر في رداء حريري
بخضرة البحر ، ترقص مع رجل مرموق له لحية ..
ورأيت فلوريمون واقفا بعيدا هناك ، بجانب إحدى
النوافذ ، يتحدث ، أو بالأحرى ، يستمع لامرأة عجوز
شمطاء ذات شعر أزرق !

وتلفت أبحت عن راؤل . رأيت أخيرا .. كان
يرقص مع فتاة شقراء ذات عينين خضراوين وفم جميل
.. كانت ترقص ملاصقة جدا له ، وكان هو يبتسم لها ،
وينزل بعينه الى عينيها . كانا ثنائيا رائعا ، لاحظت
أن كل الأنظار متعلقة بهما وتتبعهما . نعم ، فالأنظار
تتبع راؤل دى قالمى دائما .. وتساءلت في نفسى من
هى هذه الفتاة .. !

وتوقفت الموسيقى ، وتحرك الناس للخلف الى
جوانب حجرة الرقص .. كنت مختبئة وسط الناس ، ولم
يلحظنى أحد . كانت هناك أسماك زينة في حوض كبير
بجانبى ، فأخذت أتأمل الأشكال الذهبية والفضية التى
تتحرك باحتراس في الماء .

وبدأت الموسيقى ثانية . ورقص راؤل هذه المرة مع
امرأة أكبر سنا ترتدى ثوبا أزرق قبيحا به مجوهرات
بديعة .. ثم مع امرأة سمراء بهية الطلعة .. ثم مع

الفتاة الشقراء الجميلة ، ثانية .. ثم مع امرأة عجوز
ذات شعر أحمر زاه . ثم مع امرأة ذات شعر أبيض
ووجه لطيف .. ثم مع الفتاة الشقراء مرة أخرى ..
وتذكرت وعدى لفيليب ، فنهضت ..

وعندها قال صوت من خلفي تماما :

- مدموازيل !

فنفرت وكأني مذنب ، وكان ميسيو فلوريمون ،
يبتسم ابتسامته الساحرة وهو يقول :

- لا يجب أن تهربي الآن ، يامدموازيل ! لقد تحدثت
مع سيدات طاعنات في سن بما فيه الكفاية الليلة ..
ولا أرقص ، كما ترين .. دعيني أستمع بالتحدث الى
فتاة صغيرة وجميلة !

فقلت ، وأنا أرى يده تذهب الى جيبيه :

- والاستمتاع بتدخين هادئ في نفس الوقت ؟
حسن ياميسيو فلوريمون !

وجلست مرة أخرى ، فقال وهو يخرج علبة سجائره
بابتسامة :

- المرأة العظوفة كنز يفوق الجواهر . هذا ثوب

جميل جدا يا عزيزتى ! ولكن لماذا تخفى نفسك بعيدا ؟
لم أرك ترقصين !

— أنا لا أعرف أحدا !

— أوه ، أوه ! ألم تعرفك هيلواز بأى من الشباب ؟

— اننى لم أرها فى الحقيقة .. لقد نزلت متأخرة !

— والآن هى .. اه ، نعم ، أنها ترقص . اذن أين

راؤل ؟ انه يعرف الجميع ؛ وربما هو ..

— أوه ، لا . أرجوك ! اننى .. اننى كنت على

وشك السعود .. لقد وعدت فيليب أن أراه . لا تزعج

مسيو راؤل من فضلك !

— تصعدين الى أعلى ؟ ولا تأتين ثانية ، هكذا ؟

وتطلعت العينان العطوفتان الى وهو يقول :

— وهل هذا أيضا هو سبب نزولك متأخرة هكذا .

وسبب اختبائك بين الأزهار ؟

— لا ، أنا لا .. ماذا تقصد ؟

•

فقال بلطف :

— يا عزيزتى . ألم تتعلمى بعد أن كل شىء يفعله

أفراد أسرة فالى يصبح أخبارا فى الوادى ؟

فقلت بمرارة :

- اننى اتعلم .

وكانت عيناى على السمك وهو يتحرك الى الخلف
والى الامام فى حوض الماء الجميل . وأخيرا تكلم
قائلا :

- انك صغيرة جدا !

- اننى فى العشرين !

فقال بتبصر :

- مدموازيل ، اذا حدث وفكرت فى مغادرة فالى ،
فاين ستذهبين ؟

فحملت فيه عبر لحظة صمت .. هنا ، أيضا ..
انها حقيقة أذن .. لابد أن مدام دى فالى قد قالت شيئا
عن الاستغناء عنى : وقد أتى مسيو فلوريمون العطوف
ليحدثنى عن ذلك .. ويبدو أن علاقتى مع راؤل أصبحت
شغل كل الناس .

لا أدري تماما ما الذى كنت أفكر فيه أنا نفسى
بالنسبة لهذه العلاقة . كنت لا أستطيع أن أرى وراء
حقيقة أننى أحببته وأنه كان هنا الليلة .. أردت أن أراه

وكننت خائفة من أن أراه . . أما عن أحاسيس راؤل
وهدفه . . أو « نواياه » . . فلم أفسر في ذلك على
الاطلاق !

واستمر فلوريمون في لطفه قائلاً :

— هل لديك أصدقاء في فرنسا ، أم أنت وحيدة هنا
يامدموازيل ؟

— أنا لا أعرف أى أحد في فرنسا ، لا . ولكن دعنا
نكون شرفاء يامسيو . . انك قلق على لأنهم شاهدوني
بين ذراعى راؤل ، وسيستغنوا عن خدماتى . اليس
كذلك ؟

— ليس تماما . انى قلق لأنك أيضا تحبين راؤل
ياطفلى !

فقلت وأنا غير قادرة على التنفس :

— اذن ، وما الخطأ في ذلك ؟

— ان الذى قلته ، هو أنك صغيرة ، وليس لديك
أحد تلجئين اليه .

— وهل من المستحيل أن أستطيع أن أجا — كما

قلت بتعبيرك - الى راؤل ؟ هل من المستحيل لهذه
الدرجة أن .. يهتم بي ؟!

فاخذ نفسا عميقا وقال :

- أنت وراؤل ؟ .. لا يامدموازيل . ولا ولا ولا !!

فقلت بعد برهة صمت :

- الى أى مدى تعرفه ؟

- راؤل ؟ أعرفه بما فيه الكفاية . ليس عن قرب ،
ربما ، ولكن ..

فازداد غضبي وقلت :

- اذن ، طالما أنك لا تعرفه بشكل جديد ، فربما
ستفسر ماذا كنت تعنى !

- ياعزيزتى ، لا أستطيع . كان لا يجب أن أقول
ذلك .. لكن .. حسن ، هناك .. أسباب ..

فقلت :

- وهو كذلك ، سوف نتركها . لقد حذرتنى ، وكان
هذا لطفا منك . هل لنا أن ننتظر ونرى ؟

فتنفس بعمق ، وقال :

- كنت مخطئا • انك لست صغيرة كما اعتقدت •

وأشعل سيجارة اخرى وقال :

- حسن ، لا تنسى ، عندما تقومين بهذا اللجوء ،
ان لديك شخصا آخر تلجئين اليه •

وخفت غضبى ، وقلت وانا ابتسم :

- مسيو فلوريمون ••

- اغفرى لى ، ياطفلتى • انا آسف ان النصيحة
جاءت متأخرة ••

فابتسمت له ثانية وقلت :

- مسيو فلوريمون ، انك ظريف جدا •• ولكن
اجل •• متأخرة جدا !

وجاء صوت راؤل من فوقى :

- وهكذا انت هنا ! كارلو ، لماذا تخفيها فى هذا
الركن ؟ •• تبا لذلك ، لقد ظللت أراقب الأبواب طيلة
الساعتين الماضيتين ! عن ماذا كانت هذه المناقشة

الجادة ؟ وما الذى جاء متأخرا كما تقولون ؟!

فقال فلوريمون بهدوء :

— أنت ، واحد من المتأخرين ، والآن خذ آنسة
مارتن بعيدا وأرقص معها ، وحاول أن تعوضها عن
تركها للنظر فى الأسماك الذهبية !

فضحك راول وقال :

— سأفعل ذلك .. لندا ، تعالى هنا !

ثم قال بصوته الدافئ فى أذنى :

— ياله من وقت طويل .. لماذا تغيبت هكذا ؟!

— كنت خائفة أن أنزل ..

— خائفة ؟ يا الهى ، لماذا ؟ أود ، طبعاً هيلواز ..

— انها رأتنا .. تعلم أنت ذلك

— نعم .. عليك أن تتعلمى بالا تكثرثم !

— ماذا تقصد ؟

كان قلبى يخفق بعنف ، ودار بى مع الموسيقى ..

فمرت الوجوه المراقبة سراحا .. مجموعة من الرجال
.. وكرسى متحرك ..

ليون دى فالى .. انه كان يراقبنا طبعاً .. وبدأ
كما لو كان ظلاً قاتماً قد مر فوق الألوان المتحركة
بابتهاج .. تبا للرجل ، كنت خائفة منه .. اليس كذلك ؟
وعندما استدرت فى الرقصة وواجهته مرة أخرى ،
تطلعت اليه مباشرة وأعطيته ابتسامة براءة !

كان مندهشاً : لم يكن يوجد شك فى ذلك . رأيت
الحاجبين الاسودين يرتفعان بحدة . ثم أعاد الابتسامة
الى شفتيه وبدأ ضاحكاً .. ولكن كان لدى شعور بأنه
كان يضحك على نكتة لا أستطيع أن أدركها . كان
شعوراً مقبضاً غريباً ..

وعندما انتهت الرقصة كنا عند الجانب الآخر من
الحجرة ، ووقف راؤل ساكناً بجانبى ، وبدأ غير واع
بالحملقات الفضولية الموجهة إلينا .. وبدأت الموسيقى
مرة أخرى . فقلت بصوت منخفض :

- اسمع ، ليس عليك أن تقلق من أجلى

فقال ، وهو يلفنى معه فى الرقص ثانية :

- لا تكونى غبية • لقد قمت بنصيبي من العمل
الليلة ، والله يشهد • لقد رقصت مع كل سيدة عجوز
في القاعة ، هذا بالاضافة الى اننى لم أستطع العثور
عليك قبل ذلك ، والا-لكننت قد أهملت واجبى ••

كنا نرقص قرب النوافذ الطويلة المفتوحة على الليل
الجميل •• فقادنى خارجا الى الساحة الامامية ••
وتبعتنا الموسيقى من خلال النوافذ •• وكان قمر عيد
الفصح يسطع علينا • لم نتكلم •• ورقصنا على طول
الساحة ، ثم دخلنا من خلال النوافذ المعتمة الى حجرة
الجلوس الصغيرة ، التى كان لا يضيؤها سوى نار
المدفأة •

كنا فى الظلال •• فتوقف ، وكانت ذراعاه تحيطانى
باحكام ، ثم قال :

- والآن ••

وعندما استطعت الحديث ، قلت برعشة :

- احبك • احبك • احبك ••

وطبعاً ، بعد هذا التصريح الاحمق ، كان من
المستحيل ان أتكلم لبرهة طويلة !

وأخيرا أفلتني وقال :

- حسن ، ألن تسأليني ؟

- أسألك عن ماذا ؟

- السؤال الذى تسأله كل فتاة فى العالم : هل تحبني ؟

- سأكون قانعة بما تريد أنت أن تعطيه لى !

- أخبرتك من قبل الا تكونى متواضعة • لندا • •
لندا • • ان أمر الحب هذا • • لا أدرى • • هذا بأمانة
• • لا أدرى • •

- ليس مهما ياراول • •

• • بل يهم • • لقد كانت هناك نساء أخريات • •
تعرفين ذلك • • لكن علاقتى بك تختلف تماما • •

ومرت برهة صمت ، ثم ضحك ضحكة صغيرة ،
وقال :

- على كل حال على أن أقول ذلك ، اليس كذلك ؟ •
ولكنه • • • انه • • •

وتحرك وجهه مقابل شعرى • وواصل كلامه :

- لنذا .. انى اريدك .. احتاجك ، بالله ، احتاجك ..
.. اذا كنت تسمين هذا حبا ..

فقلت :

- اننى لا احتاج اكثر من ذلك .. صدقنى !
وكانت هناك برهة صمت أخرى ، النار فى المدفأة
تشتعل فى ثبات ، ثم قال فجأة :

- عن ماذا كنت أنت وكارلو تتحدثان ؟

- انا .. لماذا ، لا اكاد اذكر .. أشياء ، و ..
اوه نعم ، ثوبى .. كنا نتحدث عن ثوبى !

فابتسم وقال :

- لا تتهربنى ، اعترفى .. تحدثتما عنى .. هل حذرك
منى ؟ وقال لك أن تباعدى عنى ؟

- نعم ، انه قال : « أنت وراؤل ، لا ولا ولا ! »

- حسن ، أعتقد أنه على حق ، الى حد كبير ..
لقد اخبرتك كيف أشعر .. ولكنك : تقولين أنك تحبينى ..
- نعم ، نعم .. نعم !

فابتسم :

- نعم ..

- ومازلت ستقبلين أن تتزوجيني ، بدون ثروة ؟

وضحك :

- حسن ، لا حاجة لك أن تقلقى ازاء ذلك ...

غبشکل أو بآخر ، سوف يكون لدى مال دائما ..

فقلت :

- مغامر ، هذا هو أنت !

وتطلع الى وجهي وقال :

- الست أنت كذلك أيضا ؟

فقلت ببطء :

- نعم . اعتقد انى كذلك .

ومرت برهة صمت ، ثم قلت :

- هل يجب علينا .. أن نخبرهم ؟

- لم لا ؟ هل هذا يحتاج الى شجاعة أكثر من

اللازم ؟ .. سأخبرهم بنفسى .. وابتعدى أنت عن هذا الأمر !

— سوف يغضبون جدا .. على كل ، فانا كنت
سأطرد على أية حال . كنت متوقعة أن أخطر بقرار
طردي غدا ..

— تطردين ؟ لكن لماذا ؟ ماهو الجرم ؟

فنظرت اليه بابتسامة صغيرة وقلت :

— أنت !

— هل تعنين لأن هيلواز رأتك وأنت بين ذراعى ؟
هل ستطردين من أجل ذلك ؟ .. كلام فارغ !

— انه حقيقى .. لقد قالت البرتين لكل شخص في
القرية .. انها تعرف ما تنوى المدام أن تفعله .

— حسن ، لا يهم ذلك الآن ، اليس كذلك ؟ على
أية حال ، أنا متأكد أنك مخطئة . هيلواز لن تعمل مطلقا
على أن تدعك تذهبين .

— بالفعل ، فانا استغرب هذا التفكير ، بسبب
قيليب .. أنا .. حسن ، لقد أنقذته في الوقت الذى كاد
أن يسقط من الشرفة ..

— أى وقت ؟ ما الذى تتحدثين عنه ؟

فقلت له بانهاش :

- ألم تعرف ؟

وأخبرته بالقصة .. وأنصت في صمت وبوجه
عابس : كان هناك تعبير في عينيه لم أستطع قراءته .

وأخيرا سحبني وأوقفني على قدمي وقال :

- حسن يا حبي ، دعينا نحتفل .. دعينا نذهب
ونحضر قليلا من الشمبانيا !

فقلت :

- وبعض الطعام ..

كانت حجرة الطعام العظيمة حية بالناس والحديث
.. وعندما وصلنا الى المائدة الكبيرة المتألئة بالصحن
الفضية ، تذكرت شيئا ، فقلت له :

- راؤل ، وعدت أن أصعد وأرى فيليب .

- فيليب ؟ لماذا ؟

- أعتقد أنه شعر بعزلته عما يحدث من أمور ..
على أية حال ، لقد وعدته أن أصعد « في منتصف الليل »
.. أعتقد يجب أن أصعد الآن !

- اذن ، فأنا أصر على الصعود أيضا .. لماذا
لا نكسر بعض القواعد الأخرى ونأخذ بعض الطعام الى
الطابق العلوى ؟ .. وبذلك سيفرح فيليب ونحتفل نحن
في نفس الوقت !؟

- أوه ، راول ، انها لفكرة مدهشة ! دعنا نقوم
بمعنا نقوم بذلك !

- سوف أقوم بتجميع بعض الأطعمة والمشروبات ،
ماذا تفضلين !؟

فقلت ببساطة :

- أى شىء .

وتطلعت مرة أخرى الى المائدة وقلت :

- اننى لم أر مطلقا أى شىء بهذه الروعة ، فى
حياتى !

كان يتطلع الى وهو يسألنى :

- هل تقصدين أن تقولى أنك لم تحضرى حفلة
وقص من قبل ؟

- بهذا الشكل ؟ .. مطلقا !

فقال :

- من شيمة المرء النسيان .. واعتقد أنك لم
تتذوقى الشمبانيا أيضا .. حسن ، سوف تتذوقيلها
الليلة يمكنك أن تصعدى ، الآن ، الى فيليب ، وساتبعك
بما لذ وطاب ..

الفصل الرابع عشر

كان فيليب مستيقظا ، فعندما دخلت بهدوء الى حجرة نومه ، وجدته جالسا في فراشه ومصوبا عينيه نحو الباب ٠٠ وكانت المدفأة ، التي كانت من المفروض أن تخبو منذ ساعات ، مازالت تشتعل بتوهج ٠٠ وكانت الستائر مسحوبة ، وشعاع عريض من ضوء القمر يسقط عبر الحجرة على السرير ، وقال فيليب :

— لقد تأخرت كثيرا !

— انك قلت عند « منتصف الليل » ، تذكر ٠٠ اننا الآن في منتصف الليل تماما !
فنظر الى مسرورا وقال :

— منتصف الليل ؟ حقيقى ؟

— ما الذى جعلك مستيقظا بهذا الشكل حتى هذه الساعة ؟

ورأيت فنجان الشيكولاته لم يمس ومازال فى مكانه على المنضدة بجانب السرير . فقلت له :

— أوه .. أهكذا ؟ انك لم تشرب الشيكولاته .. ألم تشعر بالنعاس ؟

— شعرت ، ولكن انشغالى بالحفاظ على اشتعال المدفأة جعلنى يقظا .. و .. أنا خائف الآن ، ولا أستطيع أن أنام !

— خائف ؟ لماذا ؟ ماهو الأمر ؟

وجلست على فراشه ، فقال :

— لقد رأيت أحلاما سيئة !

— أوه ياعزيزى ، ياله من شيء بغيف ! أى نوع من الأحلام السيئة ؟!

فقال فيليب :

— ناس يدخلون ويتحسسوننى ..

فانتابنى الذمول ، ولكنى قلت بابتهاج :

- أوه جسن • انها مجرد أحلام ، على كل حال •
والآن اسمع مسيو الكونت • طالما أنك لم تنزل للعشاء
فى الحفل ، فهل تحب أن يأتى العشاء اليك !

- العشاء ؟ ولكنى قد تعشيت !

فقلت :

- كان هذا منذ ساعات ، كما أننى لم أتناول
عشائى بعد ، فما رأيك أن تستضيفنا أنا وابن عمك راؤل
على وليمة فى منتصف الليل ؟

- وليمة فى منتصف الليل ؟ أوه ، آنسة مارتن !

ثم بدت عليه الريبة ، وتسائل :

- هل قلت ابن عمى راؤل ؟!

وفتح الباب بهدوء ، ودخل راؤل حاملا زجاجتين
ويتبعه واحد من الجرسونات المؤجرين بصينية •

فقال فيليب :

- اذن ، فهى وليمة منتصف الليل حقا ؟

فقال راؤل وهو يفتح الزجاجاة ذات الغطاء الذهبى:

— بالتاكيد !

وانفتح الغطاء مصدرا صوتا كصوت المسدس ،
وأضاف قائلا :

— وليمة سرية بجانب المدفأة وضوء القمر !

وسكب قليلا من الشمبانيا .. فقفز فيليب خارج
الغراش ، وقال :

— هل هذا عصير ليمون ؟

— ليس بالضبط ، ولكنى أحضرت لك عصير ليمون
حقيقيا !

وملا كوبا طويلا بالعصير الأصفر من الزجاجاة
الأخرى ، وناولها لفيليب ، وقال :

— والآن نشرب .. قف يا فيليب ، اقرع كوبك في
كوبى .. والآن في كوب الأنسة مارتن .. اننا نشرب
نخب سعادتنا !

وعندما رفعنا أكوابنا ، كانت نيران المدفأة تتراقص
في مشروبنا الذهبى .

وحتى بدون تأثير الشمبانيا ، فالوليمة كانت رائعة
٠٠ لقد قام راؤل بمحاولة طيبة باحضار « كل شيء »
٠٠ وقدم طبقا وراء طبق من الأطعمة الجميلة ، اللذيذة
ذات مذاق جميل في نفس جمال مظهرها ٠٠ وأكلت أنا
وفيليب والسعادة تشملنا ، بينما جلس راؤل بجانب
المدفأة يدخن ويحتسى الشمبانيا ، وقلت :

— ان هذا لرائع ، وإذا جاءك يافيليب حلم سييء
بعد هذا ، فسوف تستحقه !

فقال راؤل :

— أظن أنه قد نام بالفعل .

وتطلعت الى فيليب الذى كان متكورا على السجادة
٠٠ ووقف راؤل ، وقال :

— هل رأى أحلاما سيئة ؟

— انه يقول ذلك ٠٠ يقول أن أناسا يأتون
ويتحسسونه وكان خائفا .

وبدا على راؤل التفكير والاهتمام ، وحمل الطفل
من فوق السجادة ٠٠ كان بجانب الحجرة حيث نجلس
في ظلام دامس ، لا يضيؤه سوى ضوء المدفأة الواهن ،

ويسقط من خلفنا شعاع من ضوء القمر الأبيض عبر
السجادة • حمل راؤل الطفل النائم الى فراشه • كان
على وشك أن يخطو الى شعاع الضوء ، عندما سقط
ظل جديد عبر السجادة ، ثم توقف في شعاع القمر
نفسه ••

استدار راؤل متأرجحا ، ووجه فيليب ، الأبيض
في ضوء القمر ، يتأرجح على كتفه •
وسمعنا صوت هيلواز دى فالى وهى تقول بحدة
وعنف :

— راؤل !!! ماذا تفعل هنا ؟ ماذا فى الأمر ؟!

فقال ببطء :

— لا شىء !

— ماذا ؟ فيليب ؟ •• ماذا حدث له ؟

— يا عزيزتى هيلواز •• لا شىء على الإطلاق ••
انه نائم !

كانت ممسكة بالسستارة باحدى يديها ، واتجهت
الأخرى الى قلبها بحركة قد شاهدها من قبل ••

وأعتقدت أنه من الأفضل أن أظهر نفسي ، فنهضت واقفة ٠٠ ولفت نظرها حركة ثوبي الأبيض في الظلال ، فاستدارت مصدرة صرخة صغيرة وقالت :

— أنت هنا ؟ ما الذي يجري ؟ هل حدث مكروه ؟!

فابتسم راؤل وقال :

— وليمة سرية ، هذا كل شيء ٠ كان فيليب يشعر بالحرمان من عدم المشاركة في الحفل ، فحاولنا أنا والأنسة مارتن أن نشركه ٠ ولقد نام لتوه ٠٠

تطلعت هيلواز دى فالى حولها ، فسقطت عيناها على الصينية عند المدفأة ، مع الزجاجتين ٠ والأكواب الفارغة والصحون الفضية ، فقالت في اندهاش :

— تقصدان وليمة حقا ؟

قال راؤل وهو يسحب اغطية السرير فوق جسم فيليب :

— بالطبع ٠ دعيني آخذك الى تحت ثانية يالندا !

تحت ؟ ٠ انني لم أستطع مواجهة كل تلك النظرات الفضولية ٠٠ لذلك فقد قلت وأنا أشعر بشيء من الخجل :

.. لا ، شكرا لك . سأذهب الى فراشى الآن ..
تصبحين على خير يامدام . شكرا لك على الرقص ..
انها كانت ليلة .. لقد استمتعت بالحفل جدا .

كان وجه المدام عديم اللون في ضوء القمر . انها لم
تكن مطلقا بهذا الجفاء وهذا التباعد ، عندما قالت :

.. تصبحين على خير يا آنسة مارتن .

واستدارت وذهبت . وعندئذ سألت راؤول :

.. هل ترى ياراؤول ؟ انها تنوى طردى بالفعل .

كان ناظرا وراء هيلواز ، عندما أجاب :

.. من الأفضل أن أتركك الآن !

أغلق الباب من خلفه ، و سمعته يمشى مهرولا في
الممر وراء هيلواز ، وكأنه يريد اللحاق بها .

وفي الصباح التالي ، أحضر لى برنارد رسالة الى
حجرة الدراسة عند موعد الافطار . بدت كأنها قد كتبت
على عجل ، فقرأت :

.. عزيزتى ،

لا أستطيع البقاء اليوم كما كنت أمل . وجدت انى
يجب أن أعود الى باريس . اغفرى لى ، وحاولى

الا تقلقى بخصوص أى شىء • اذا كان لديك أمر عاجل
تريدى أن تخبرينى به ، فيمكنك الاتصال بى تليفونيا
بشقتى ، التى أشارك مع صديق لى فيها • الرقم هو
٦٧٠٤٣٢١

• ساءود صباح الخميس •

المخلص

«راؤل»

طويت الرسالة بيدين غير ثابتين ، ورفعت بصرى
الى برنارد المنتظر • كان يراقبنى باهتمام بعينه
السوداوين القاسيتين ، فسأله :

– هل رحل مسيو راؤل بالفعل ؟

– أوه ، نعم يامدموازيل • لقد رحل بسيارته
ليلحق الطائرة المبكرة الى باريس •

وعندما خرج برنارد من الحجرة تعجبت مرة أخرى
ما الذى ترى فيه بيرث الصغيرة الجميلة •

• بدا اليوم طويلا • شعرت بالوحدة بشكل غريب •
• لقد ذهب راؤل ، وفلوريمون رحل أيضا بعد الافطار •

وعندما كنت أنا وفيليب في الخارج نقوم بجولة بعد الظهر المعتادة ، زمجرت سيارة وولت مارة بنا • كان يقودها وليم بليك ، الذى لوح لى بيده بابتهاج ، فرددت عليه بتلويح يدي بشغف ، حتى أن فيليب بدا عليه الاندهاش ، فقال :

— هل هو صديق عزيز عليك ؟

فقلت :

— انه انجليزى !

وعند دخولنا عائدين تقابلنا مع ليون دى فالى فى الساحة ، فقال :

— آه ، فيليب •• مساء الخير يا أنسة مارتن ••
هل عدتما توا من جولتكما ؟

وابتسمت ، ولم أستطيع أن أرى أى أثر لفتور فى وجهه • يقينا لو كان سيطربنى لما بادر بالقاء التحية علينا بهذه الطريقة اللطيفة !

والتفت الى فيليب ، وقال :

— وكيف حالك اليوم ، بعد الاشارة التى حدثت ليلة أمس ؟

فقال فيليب بعصبية :

- اشارة ؟

- لقد أخبروني بوليمة منتصف الليل التي
أقمتموها .

فقلت بمثل عصبية فيليب :

- هل تمنع .. ؟

- يا عزيزتى ، لماذا أمانع ؟ يا آنسة مارتن أننا
نترك فيليب تحت رعايتك وتصرفك ، كان عطفاً منك أن
تفكرى في الطفل في وقت مسرتك الشخصية . أتعشم أن
تكونى قد استمتعت بالرقص ؟

- نعم ، أوه نعم ، بالفعل ! كانت ليلة مذهشة !

- أنا سعيد أن اسمع هذا . أخشى أن تشعري
بأنك غريبة بيننا ، ولكنى أحسب أن راؤل تعهدك واهتم
بك !

لم يكن في صوته الدمث الا استعلام مؤدب ، فقلت :

- نعم ، شكراً لك ، لقد فعل .. وكيف حال المدام
الآن ؟ انها ليست مريضة ، اليس كذلك ؟

- أوه لا ، مجرد تعب .. سوف تظهر في الحفل

الراقص بالقرية الليلة ، لذلك فهي تأخذ قسطا من الراحة الآن .

— اذن ، فهي لن تنتظرنا في حجرة الجلوس اليوم كالمعتاد ؟

فابتسم قائلا :

— لا ، أعتقد انك لا تستطيعين أن تلتقي بها ، لكن يمكنك أن تلتقي بى بدلا منها !

فتصلب فيليب ، ولكنى قلت :

— كما ترغب يامسيو . . في المكتبة ؟

فضحك قائلا :

— لا ، لا . . سأجنب فيليب ذلك . . حسن ، لا تدعيني أعطلك . .

واسستدار الكرسي المتحرك ، وابتعد . . وركض فيليب أمامى الى الباب الجانبى في ارتياح سعيد . .

كانت أحاسيسى مثله أيضا . . اذن ، من الواضح عدم وجود أى فكرة للاستغناء عنى ، لقد كانت كلها من تخيلاتى الغبية !

الفصل الخامس عشر

مضت بقية اليوم ببطء ، ووضعت فيليب في فراشه مبكرا ، وعندما انتهى من شرب فنجان الشيكولاته ، ذهبت ممتنة الى فراشى .

لا أذكر كيف استيقظت . يبدو أن ذلك حدث بعد نوم عميق ، فأدركت وجهى على الوسادة وتطلعت بعينين جاحظتين نحو الباب . لم أستطع أن أر شيئا ، لكنى سمعت الباب وهو يغلق بهدوء ، ثم سمعت خطوات خفيفة تتحرك عبر السجادة نحو السرير . . .

ولامس السرير شئ ما . . . وسمعت تنفسا ،

وبينما كنت أحاول اضاءة النور الملاصق للسرير ،
جاءنى همس مخيف :

- لا تضئىء النور ! .. أنا بيرث يا آنسة .

- بيرث ؟ ماذا حدث ؟ فيليب ؟ هل حدث أى
مكروه لفيليب ؟

- لا ، لا ! لكنى فكرت أن أحضر اليك لأخبرك ..

وانفجرت فى البكاء وجلست على طرف السرير ..
فتسللت من فراشى وأغلقت الأبواب بالمفتاح .. ثم
أضأت النور الملاصق للسرير .. وجلست بيرث واضعة
وجهها بين يديها ..

جلست بجانبها ووضعت ذراعى حولها قائلة :

- ماذا فى الأمر ؟ هل حدث شئء وقت الرقص ؟

فقالَت بصوت منخفض متعجل :

- انك تعرفين أننى سأتزوج من برنارد ؟ حسن ،
لقد أخذنى الليلة الى الرقص ، وبدأ .. أوه ، انه كان
مخمورا يا آنسة ، وبدأ .. أنت تعرفين ..

- أعرف ..

واستمرت قائلة :

— وفي طريقنا الى البيت بدأ يتكلم • كان يتفاخر بما سنفعله عندما نتزوج ، فقال ، سيكون لدينا مال ، مال وفير ، وسنشترى مزرعة • كان يتحدث بطريقة عنيفة وهو مخمورا تماما لدرجة أنني خفت • وأخبرته بالأمر أن يكون عبيطا أو ساذجا فمن أين لشخص مثله أن يحصل على مال يشتري به مزرعة ، وعندئذ قال

— نعم ، ماذا قال؟

— قال : سيكون لدينا مال وفير فيما بعد ، عندما فيليب •• عندما فيليب

— نعم ، عندما فيليب ماذا ؟

فقالت بيرث :

— يموت ••

— استمرى !

— قال أن مسيو دي فالمر قد وعده بالمال عندما يموت فيليب ••

— بيرث ! تقصدين •• أنه يخطط لـ •• لـ ••

— نعم يا أنسة !

صمت .. واستطعت أن أرى العرق يتصبب على وجهها .

كان هذا كلاما فارغا .. انه لن يحدث .. فالقتل شيء يحدث في الكتب ، لا بين أناس نعرفهم جيدا .. ولكن جزءا من عقلى كان يعرف أن هذا حقيقى .. ولقد كان يعرف ذلك من قبل . فقلت بهدوء :

— فيليب سيموت فيما بعد ، أقال ذلك ؟ فيما بعد متى ؟

— برنارد قال قريبا .. جاءت برقية مبكرا هذا الصباح من مسيو هيبوليت ، يقول أنه قادم للبيت .. وسوف يكون هنا غدا مساء ، ولذلك لابد أن يقوموا بذلك فوراً . لقد حاولوا من قبـل ، يقول برنارد ، ولكن ...

— حاولوا ؟ من هم ؟

— عائلة فالـى .. مسيو ومدام و ...

فقلت :

— لا ! لا ! ..

فقالت بيرث :

— نعم يا آنسة .. مسيو راؤل !

— لا أصدق هذا ، لا أصدق هذا !!! .. لا يمكن أن يكون هذا حقيقى !! لا يمكن !! أعرف ذلك .. بيرث ، هل تسمعيننى ؟! .. انه بساطة غير حقيقى ..

ولم تقل شيئا ، ولكنها أشاحت بوجهها ..

لن أصف أفكارى وأحاسيسى خلال الدقائق القليلة التالية ، انها موجعة جدا لى حتى الآن .. واستطعت بعد وقت أن أفكر بشكل معقول نوعا ما ، وأدركت أن أهم ما فى الموضوع هو فيليب نفسه .. وتكلمت بصوت ميت ، حتى اننى لم أدرك أنه صوتى :

— أنا لا أقول انى أقبل ما يقوله برنارد ، ولكن ... حسن ، أريد أن أسمعه .. تقولين : « لقد حاولوا من قبل ، .. أعتقد أنك تقصدين الطلقة النارية فى الغابة واغريز الشرفة المخلوع ؟

— نعم !

أذكر وجه مدام دى فالى عندما عدنا أنا وفيليب من الغابة فى ذلك اليوم : كان شاحبا ومتوترا ، كما لو

أنها قد رأت شيئاً فظيعاً ٠٠ وفي ليلة الشرفة المكسورة :
لم تصعد للطابق العلوى لتأخذ الدواء ، ولكن لترى
ما قد حدث ٠٠ ولابد لليون دى فالى أن يكون قد سمع
صوت الارتطام من الساحة الأمامية ٠٠ فقللت :

— من أطلق النار ؟ برنارد نفسه ؟

— لا ، كان هذا مسيى راول !!

— انه يكذب ٠٠ لابد أنه أطلق النار بنفسه ، و ٠٠٠
ولكن هنا رأيت وجهها ، فتوقفت ، وأدركت أنها لابد
تحس نفس احساسى السيىء ، فقللت :

— أوه ، أنا آسفة يابيرث ! حسن ، يمكن أن نقرر
فيما بعد من مذنب ومن ليس مذنباً ، أما في الوقت
الحاضر فمن الأحوط أن نفترض أن الجميع مشتركون
في المؤامرة ٠ كان راول بالتأكيد في الغابة في ذلك اليوم
٠٠٠ لقد قال ذلك هو نفسه ٠ ثم صوت نغير الكاديلاك
في المنعطفات ٠ وذلك كان لجعل فيليب يخرج ليلقى
حقيقه ؟

— لا أدري عما تتحدثين يا آنسة ٠ برنارد لم يقل
أى شىء عن النغير !

— أوه ؟ حسن ، لا تهتمى بذلك .. يجب أن نفكر
ماذا نفعل ؟

أولا ، كان على أن أرتب أفكارى . حاولت أن أنظر
للأمر كله بهدوء وبنظام ، منذ وقت ارسال فيليب الى
فالى من قبل هيبوليت الذى لاشك فى أمره ..

وكانت أول خطوة هى التخلص من الشخص الوحيد
القريب من فيليب ومحل ثقة هيبوليت .. مربية الطفل !

وكان لابد من شخص آخر يحل محلها ، فكنت أنا
الشخص المثالى ، فتاة بدون أقارب أو أصدقاء قد
يساعدونها فى حالة وقوع أى مشكلة . فماذا سيكون
أفضل من فتاة يتيمة وأجنبية أيضا ؟ اذن لقد كانت
غريزتى فى اخفاء أصلى الفرنسى على حق بالفعل !

وهكذا عثروا على وأحضرونى الى فرنسا . ولقد
سمعوا لى أن أستقر فى فالى . ثم تمت المحاولة ،
وبمحض الصدفة ، فشلت : ولم تصب الرصاصة فيليب
.. وكانت المحاولة الثانية أقل تعمدا ، ولكنها أيضا
أقل خطرا : لقد تم كسر افريز الشرفة وتركه مغلخلا ،
وجاهزا للمرة التالية التى يندفع فيها فيليب خارجا
الى ذلك الركن .. وهذا « الحادث » فشل أيضا ، بسببى
.. واذا كانت أى محاولة من هاتين المحاولتين قد

نجحت ، فلن يكون هناك أى شك فى جريمة قتل ...
وبالتأكيد ، الشخص الوحيد الذى يمكن أن يعتبر مذنباً ،
كان هو ليون دى فالى نفسه . وكانت الناس ستتحدث
عن « المأساة الفظيعة » ثم ينسونها . . ويكون ليون قد
امتلك فالى ، فهو محترم بشكل زائد وصاحب أملاك
ممتاز ، ولاشك أن أهالى المنطقة سيقتنعون . . وقلت :

— والآن يابيرث ، ماذا بعد ؟ ماذا سيحدث هذه

المرة ؟

— لا أدرى . . ولا أعتقد أن برنارد نفسه يعرف .
أعتقد أنها لن تكون مهمته هذه المرة . . لكن لابد من
التنفيذ بسرعة ، لأن مسيو هيبوليت قادم . لقد وصلت
البرقية مبكراً هذا الصباح ، وبالفعل أزعجت السيد
جدا . .

وتنفست شهيقاً حاداً ، وقلت :

— وسسيأتى هيبوليت غدا ؟ اليوم يابيرث . أنه
اليوم ، هل تدركين ذلك ؟

— لماذا ، أوه نعم ، أنه كذلك . . فالمساعة الآن
تقترب من الواحدة . . ولكن لا أدرى متى سيحضر
مسيو هيبوليت الى هنا . أعتقد أنه لن يكون قبل المساء
. . الى أين ستذهبين ، يا آنسة ؟

— لأتأكد من أن فيليب على مايرام .

وركضت بخفة عبر الحمام الى حجرة نوم فيليب ،
وانحنيت فوق السرير ، وسمعت تنفسه المنتظم . وعدت
تاركة الأبواب الفاصلة مفتوحة ، ودخلت الى الفراش
مرة أخرى .

— نعم ، انه نائم . لكنك تعلمين أن محاولة أخرى
ستتم اليوم ؟ والآن ، تقولين أنه 'ن يكون برنارد .
ومسيو راؤل قد ذهب الى باريس ، وبالتالي فلا يمكن
أن يكون هو . وأنا على يقين أن مسيو دى فالى سوف
يبعد نفسه عن ذلك ، وهكذا لن يبقى سوى المدام .

فقال بيرث :

— هل أنت متأكدة ؟

— أنها هي المدام ؟ بالطبع لا . ولكن . . .

— هل أنت متأكدة أن مسيو راؤل قد ذهب الى
باريس ؟

فحملقت فيها ، وقلت :

— ماذا ؟ تقصدين . . انه ربما لا يزال هنا في مكان
ما . . مختبئاً ؟ لكن سيارته قد ذهبت !

— نعم ، انه رحل • انا رأيته • ولكن يمكنه أن يرجع ••

— أوه يا الهى •• ولكنك تعرفين ، لا يمكن أن أصدق أن راول مشترك في هذه المؤامرة بالفعل • وإذا كان كذلك ، فلماذا يقيم علاقة معى ؟ فبال تأكيد أن ذلك خطر وغير ضرورى ؟

فقالت بيرث باندهاش :

— ربما ، لم يستطع أن يقاوم ، فأنت جميلة جدا ، اليس كذلك ؟ والبرتين تقول أنهم عندما كانوا في باريس سمعت ••••

— ان البرتين تسمع كثيرا ، اليس كذلك ؟ ولكنى لا أعتقد أن راول مثل ذلك ••

— حسن يا أنسة ، اذا كان هو •• قد ارتبط بك ، وهذا ليس من الحيلة ، فربما كان ذلك سبب ضيق السيد والمدام ••

— أعتقد أنهما كذلك في البداية ، ولكنهما غير متضايقين الآن • قابلت المسيو بعد ظهر اليوم ، وكان لطيفا معى جدا •

— أوه ، ولكنهما كانا متضايقين يا أنسة • البرتين
قالت أنهما سيطردانك •• قالت أنهما كانا حانقين عليك
جدا •

— ولكن هذا لا يعقل يا بيرث ! ان علاقتى مع
راؤل توطدت جدا ، وطلب منى أن أتزوجه !

— نعم ، أعرف • كل امرئ يعرف • البرتين
أخبرتنا •• —

وسكتت لمدة ثوانى ، ثم قلت :

— حسن ! حسن اذن ، لابد أن المسير والمدام قد
عرفا •• ومع ذلك ، عندما رأيت المسير اليوم ، كان
لطيفا جدا معى ! وفى ذلك الوقت ، كان قد وصلته برقية
هيبوليت •••

ثم قلت ببطء :

— هو والمدام كانا غاضبين منى من قبل ، أعرف
ذلك •• وأعتقد أنهما كانا يخططان على طردى •• لكن
برقية هيبوليت غيرت كل ذلك • كان عليهما أن يقوما
بخطئة جديدة وبسرعة ، وتلك الخطئة تشملننى •

وبعد صمت طويل ، قالت بيرث ببطء :

- ربما يريدان أن يتأكدا من أنك ستظلين هادئة ،
إذا ارتبت في أى شيء .

- يا الهى ! بالتأكيد أنهما لا يمكن أن يتخيلا أننى
ارتاب فى مقتل طفل ، وأسكت ولا أفعل شيئا بخصوص
ذلك ؟

- ولكن اذا كنت سوف تتزوجين راول ، وكل
شخص يعرف

وتوقفت ، ثم أضافت قائلة :

- اذ مات فيليب ، فستكونين كونتيسة فى يوم
ما . واذا كانت البرقية جاءت فعلا قبل حفلة الرقص ..

- وماذا تقصدين ؟ . هل تقصدين أنهما قد أعطيانى
مبررا للمقتل ؟ وأنهما لا يمكنهما أن يغامرا « بحادث »
آخر ، بدون وجود شخص يقع عليه اللوم ، فى حالة
حدوث خطأ فى الأمور والقاء الناس بالأسئلة ؟ هل هذا
ما تقصدين ؟

فقالت بيرث ببساطة :

- هل هناك أى سبب آخر ليطلب منك أن تتزوجى
منه ؟

فقلت :

— هل هناك أى سبب آخر فعلا ؟

وقمت لألقى نظرة أخرى على فيليب . انه لا يزال
نائما فى سلام . كان المنزل هادئا . وعدت الى بيرث .
وقلت :

— أظنك تدركين أن أقل وقت يمكن أن يحدث فيه
أى شىء هو الليلة ، الآن ؟ . فكل امرئ فى القرية
بحفلة الرقص ، فيمacedا مسز سيدون . ومسيو دى
فالى . فالمدام ذهبت الى هناك . أليس كذلك ؟

— نعم ، ولكنها لابد أنها غادرت القرية الآن ، فهي
لا تبقى طويلا هناك أبدا . وبرنارد هنا . لقد أوصلنى
بالسيارة الى هنا . انه نائم الآن فى حجرتى . أوه ،
كان أمرا مفرعا ، الركوب معه مارين بالمنعطفات ، وهو
لا يزال مخمورا .

— اسمعى يا بيرث ، هل تبقين مع فيليب حتى أذهب
وأصل بالشرطة تلفيونيا ؟

- لا ! لا يجب أن تذهبي الى الشرطة !

- ولكن يا فتاتي العزيزة . . .

- لقد جئت لأبلغك ، لأنك كنت طيبة معي . لم أرد أن تدخل في أية مشاكل ، لكن لا يجب أن تخبري أي امرئ عن برنارد ! يمكنك أن تهربي إذا كنت خائفة !
فنظرت اليها باندهاش وقلت :

- أهرب ؟

- إذا كان ما قلناه حقيقيا ، ومن المحتمل أن يتهموك بالقتل !

- ولكن يا بيرث ، لا يمكن أن تكوني جسادة في اقتراحك هذا . . . أهرب وأترك فيليب لهم ؟ لا ، سأتصل بالشرطة الآن ؟

- إذا بلغت الشرطة ، فسيأتون ويقابلون السيد .
وسوف يصدقونه هو ، لا أنت !

- ربما . . . ولكن ذلك سوف ينقذ فيليب .

- ولكن ماذا تظنين سيحدث لي ؟ وبرنارد ؟

واسرتى ؟ ولقد عمل أبى عند عائلة فاملى طيلة حياته ،
فأين يذهب عندما يطرده ؟

فقلت :

— حسن جدا ، سأغلق فمى ولن اتكلم • والآن •
من الأفضل أن تذهبى يا بيرث •• شكرا لك على قدومك •
وابلاغى •

وذهبت •• وتركتنى وحدى مع الظلال ••••

الفصل السادس عشر

كانت هناك خطة واحدة فقط قد تضمن نجاه فيليب :
يجب أن يبعد عن متناول ليون دى فالى ، ويختبئ حتى
تأتى المساعدة !

ليس هناك دقيقة واحدة للاستغناء عنها ، فالخدم
على وشك المجيء من الرقص ، وعلى أكثر تقدير بين
الثالثة والرابعة . وإذا كان ولا بد من القيام بمحاولة
لذلك هذه الليلة ، فلا بد أن تتم الآن على الفور .

واتجهت لارتداء ملابسى ، عندما سمعت صوتا من
الممر . وبالرغم من أننى قد تصنت عليه ، لم أتبين فى
البداية صوت من هو . همس حاد رفيع . لا بد أنه

أعطى إشارة تحذير لعقلي ، لأن يدي تحركت الى الضوء الملاصق للفراش وأطفأته ، في الوقت الذي فتح باب فيليب بسرعة جدا . فعرفت عندئذ ما هي تلك الهمة الحادة . . الكرسی المتحرك .

بقيت في مكاني كما كنت ، متجمدة ، وأحدى يدي مازالت على الضوء . كنت أتنفس بصعوبة . ولو كان قد صدر أى صوت من الحجرة الأخرى لكنت قد انطلقت الى هناك كطلقة البندقية ، ولكن الكرسي المتحرك لم يتحرك من مكانه . وبقيت ساكنة ومنتظرة .

لا شيء . . لا حركة . . وبعد برهة ، أغلق الباب مرة أخرى بلطف شديد . . وسمعت صوت عجل الكرسي في المرة أخرى .

وأعادني الخوف ثانية الى سريري . وعندما فتح باب حجرة نومي ، كنت راقدة بهدوء ، وأغطية الفراش من فوقى وحول رقبتى . .

انه لم يدخل . . انتظر فقط هناك في صمت . . . وامتدت الثواني وأصبحت كالسنين . .

لقد ذهب ٠٠ وأغلق الباب من خلفه بلا أدنى صوت
٠٠ وسمعت صوت عجل الكرسي المتحرك وهو يتلاشى
في الممر ٠٠

وبعد ذلك بثوان ، سمعت صوتا خافتا للمصعد .
لقد كان يتم علينا ويتأكد من أننا في فراشنا ، وكان هذا
كل شيء . ولكنه أفصح لى أيضا عما كنت أحتاج
لمعرفته : كانت القصة حقيقية .

والى حد ما عادت السكينة الى ثانية . فأغلت
الباب بالمفتاح ، ثم أغلقت الستائر وأضأت النور ٠٠
وارتديت ملابسى بسرعة ، والتقطت معطفى وحذاءى
المتين ، ومررت من باب الحمام الى حجرة نوم فيليب .

كانت الحجرة بها ضوء كاف ، فالستائر الطويلة
مفتوحة قليلا ، ومن بينها يسقط ضوء القمر في خط
ساطع عبر السجادة ، تماما مثلما كان في الليلة الماضية
٠٠ أغلقت الباب بالمفتاح ثم أحكمت اغلاق النافذة ٠٠
وكان فيليب من خلفى يصدر صوتا خافتا في نومه ،
ونظرت من فوق كتفى نحو الفراش .

رأيت ظلا غريبا ، فاستدرت في جزع مفاجئ ٠٠
لقد جاء شخص كان يسير بطول الشرفة ، وكان يحمل
فى من خلال الفتحة التى بين الستائر ٠٠ فوقفت هناك

في شعاع ضوء القمر ، غير قادرة على الحركة ..
وتطلعت أمامي في عيني هيلواز دي فالى !

لم تبد أى دهشة لوجودي .. مجرد أنها أخذت
تدفع النافذة ، وكأنها كانت تتوقع أن تجدها مفتوحة .
كان من الصعب على أن أرفض ادخالها ، ففتحت
النافذة ، وأنا أفكر كيف كنت سأفسر حقيقة وجودي
متيقظة ومرتدية ملابسى في الواحدة والنصف صباحا ،
وقلت بكل برود أقدر على اظهاره :

— مساء الخير يامدام .

ولم تعرنى أى التفات ، ولكنها مشيت بهدوء الى
داخل الحجرة ، ووقفت بالقرب من رأس السرير وتطلعت
الى الطفل النائم .. ثم مدت يدها ببطء شديد ،
لتحسس على وجهه .. أنها كانت لمسة رقيقة ، حركة
لا معنى لها .. ولكنى أدركت شيئا ! هذا هو حلم فيليب
السيء . لقد حدث هذا من قبل !

وتحدثت اليها عبر السرير :

— ما هذا يامدام ؟! ماذا تريدین ؟!

ولم تجب .. وبدأت أنا أزمجر حانقة ، ثم توقفت
متحيرة ، أراقبها ، ماذا ستفعل ؟

لقد اتجهت نحو المنضدة الصغيرة التى بجانب
السرير . وتحركت يداها عندئذ فوق الأشياء المختلفة
التى على المنضدة . . أبجورة ، كتاب الفئجان الذى
كان فيه شيكولاتة فيليب ، عسكرى دمية . . وكانت يدها
تتحرك بطريقة عشوائية غريبة ، وقبضت على الفئجان
ثم رفعته ، فقلت :

— مدام دى فالى

فاستدارت عندئذ كان وجهها عديم التعبير ،
لا يفصح عن شيء ، وكانت عيناها خاليتين من الانفعال
واثناء تطلعى اليها ، سرت فى كل جسمى قشعريرة
خوف . .

كنت العينان المفتوحتان ، مثل اليدين المتحركتين
برقة . . لقد كانت تمشى وهى نائمة !! فالقلاق الذى
يثقل على عقلها جعلها تمشى وهى نائمة خلال الليل
الى حجرة فيليب !! هل يمكن أن أجعلها تتكلم ؟
فقلت :

— هيلواز دى فالى ، ردى على . . كيف ستقتلين
فيليب !!؟

لم تبد أى انتباه ٠٠ ووضعت الفنجان على المنضدة ،
واستدارت نحو النافذة ٠٠ وانفجر السؤال من فمى :
- هل راؤل يساعدك ؟

ولم يجد ذلك فلم أحصل على أى رد منها ٠٠ كانت
تسير ومعها أسرارها ، فهي لاتزال حبيسة نومها ٠٠٠
وسحبت الستارة جانباً من أجلها ، فمشيت هى بهدوء
هارة بى ٠٠ وسارت فى الشـرفة الى أن اختفت عن
بصرى ٠٠

لكنها قد أفصحت عن شىء واحد ٠٠ الفنجان ٠٠
فعدت عيناى الى الفنجان الفارغ بجانب فيليب ٠٠
ماذا كان يوجد فى الفنجان مع الشيكولاته ؟

وأبطلته بهدوء ، ففتح عينيه ورأنى ، فقال :

- لقد رأيت حلما سيئاً آخر !

- أعرف ، ولهذا جئت ٠٠ فيليب ٠٠ هل أنت على
مايرام ؟

- نعم ، طبعاً !

وسقطت عيناه على ملابسى فسألنى :

- لماذا أنت ٠٠٠٠

– هل شربت الشيكولاته ؟

فتردد وهو يقول :

– لقد سكبتها ، وتخلصت منها .

– ماذا ؟ هل كانت مقرفة أو أى شيء ؟

– لا ، على الأقل ، لا أعرف . . . لقد تركوا الزجاجاة
ليلة أمس ، فعثرت عليها واحتفظت بها . . . أننى لم
أخبرك .

فقلت وأنا لا أفهم :

– زجاجة ؟

– نعم ، عصير الليمون اللذيذ . لقد شربته عوضا
عن ذلك .

– انك لم تقل شيئا أبدا عندما كنت أذهب لأحضر
لك الشيكولاته .

فقال فيليب :

– حسن ، لم أرد أن أؤذى شعورك ، فأنت دائما
تعملين الشيكولاتة . . . ماذا فى الأمر ؟

- لا شيء .. لا شيء .. أوه ، فيليب !

- هل أنت حانقة على ؟

- لا ، لست حانقة عليك .. والآن ، اسمع يا حبيبى
هل علمت أن عمك هيبوليت سيأتى البيت غدا .. اليوم ؟

فرايت الفرحة تلمع في وجهه وهو يقول :

- لماذا يعود ؟ من قال لك ؟ متى يمكننا أن نذهب
ونراه ؟

فقلت :

- فكرت أننا نذهب في الحال .. فكلما أسرعنا ،
كان أفضل ..

وتطلعت اليه وكأننى قلت أعقل شيء في الدنيا ،
فتراخت عيناي أمام حلقته الثابتة .. وتسائل :

- هل تقصدين أننا سنذهب الى فيلا أنا الآن ؟

- نعم ، لن يكون هناك بعد ، ولكنى فكرت ..

- هل عمى ليون يعرف ؟

- فيليب ، يا عزيزى ، لا أتوقع منك أن تفهم كل
هذا ، ولكن أريدك أن تثق بى ، وتعال معى الآن ..

- انك تأخذيني بعيدا عنه ؟

- نعم !

وانتظرت منه أن يقول : لماذا ؟ .. ولكنه لم يفعل ،
وقال :

- ان عمى ليون يكرهنى . انه يتمنى أن أموت ..
فقلت بلطف :

- فيليب ، يا حبيبى ، أخشى أنه يرغب فى إيذائك .
انا لا أحبه كثيرا ، أيضا .. أعتقد بأن كلينا سنكون
أفضل بعيدا عن هنا ..

فدفع بأغطية الفراش بعيدا عنه ، وخلع بيجامته
فورا ، وقال :

- عندما أطلق على النار فى الغابة ، لم يكن ذلك
مصادفة ؟

لم يكن هناك حاجة للتظاهر ، فقلت :

- لا ، لم يكن ذلك مصادفة !

وناولته ملابسه .

- لقد حاول أن يقتلنى !؟

فاضفت قائلة :

- نعم ، ولكن لا تخاف ياغيليب !

- اننى لست خائفا .

وكانت عيناه - مثل عيون أسيرة فالى - تلمعان
بشراسة حين قال :

- لقد كنت خائفا لمدة طويلة ، ولكن لم أعرف
لماذا . والآن عرفت ، ولم أعد خائفا !

وعثرت على سترته الصوفية وقلت له :

- لا ترتدى حذاءك الآن . . احمله ، حتى نخرج
من القصر !

فالتقطه ، وتطلع الى فى ريبة ، وقال :

- لا يمكننا أن نذهب الى فيلا أنا حتى يكون عمى
هيبوليت هناك . فهناك سيبحثون عنا أول ما يبحثون .

- أعرف . هل تذكر مسيو بليك ، الانجليزى ؟
حسن ، ان لديه كوخا فى غابات ديودونى ، حيث
يقضى الليل أحيانا ، أنا أعرف أنه هناك الليلة ،
لأنى رأيت ضوءه يلمع كالنجمة قبل ان اذهب للفراش .

سوف نذهب الى هناك ، وسيسببهم بأمرنا حتى يعود
عك . والآن ، يجب أن نكون هادئين جدا جدا . . . !

ووقفت بجوار الباب وأخذت أسمع . ولم أستطع
أن أسمع شيئا . وخلف الباب امتد المنزل الفسح
العظيم مظلماً و خالياً تقريباً . . وكانت مدام دي فالى
نائمة بالتأكيد ، وكان برنارد مخموراً ، وليون نفسه . .
كان منتظراً في الطابق الأسفل هناك لاكتشاف الوفاة . .
كان ليون نفسه عاجزاً . .

وزحفنا في سكون على طول الممرات الطويلة المظلمة ،
وهبطنا على السلالم الى الباب الجانبى . . وكان مغلقاً
بالمفتاح . لا بد أن باب المطبخ قد ترك مفتوحاً ليدخل منه
الخدم ، ولكنى لم أجرو على استكشاف ذلك . . ودار
المفتاح الثقيل بسهولة وبهدوء ، ولكن لم يزل الباب
مستعصياً على الفتح . لا بد أنه محكم من فوق أيضاً . .
فانسابت يداى فوق الخشب ، فعثرت على المزلاج فوق
يدى ، فسحبته .

فتحرك بصوت يشبه الصرخة . . وبدأ الصوت
يستمر ، ويستمر . . وشددت الباب بيدين مرتعشتين ،
منصتة طوال الوقت لصوت الكرسي المتحرك . . ولكن

لم يزل الباب لا يتحرك .. قد يكون قادما في أى لحظة
الآن ، ليجدنا في هذا الركن المعتم .. فهمس فيليب :

- هنا ، لقد أحضرت كشافي المضيء .

وانحنى نحو مزلاج آخر عند أسفل الباب ، وسحب
الى أعلى بهدوء ، فانفتح الباب ..

وخرجنا الى هواء الليل ..

الفصل السابع عشر

والآن ، كيف سنعثر على كوخ وليم بليك في الغابة ؟
فمن نافذتي بقصر فالى ، لاحظت أن الضوء يبدو قريبا
من ممر عريض مستقيم يمتد خلال أشجار الصنوبر من
مكان ما قرب جسر فالى . تمكنت أنا وفيليب أن نعبّر
الجسر . . . وانحرفنا قليلا نحو اليمين ، وكنا على يقين
أننا سنصل الى ممر مفتوح ، ثم يمكننا عندئذ أن نتبعه
صاعدين حتى نصل الكوخ .

كان هذا يبدو سهلا ، ولكنه كان في الحقيقة تسلقا
طويلا وشاقا جدا . . . ولم أجرؤ على استخدام كشاف

فيليب بالقرب من الطريق ، ولا في الممر المفتوح فيما بعد ، حيث يمكن رؤيته من قصر فالى .

وفي الغابة كان الظلام دامسا . . . ولقد اعتادت عيوننا على الظلام وأصبحنا قادرين على شق طريقنا بين الأشجار ، ولكننا لم نستطع رؤية الفروع الميتة الجافة الملقاة على الأرض . . . فاصطدمنا بها وسقطنا فوقها ، وتغطت سيقاننا بالجروح والكدمات . ومع ذلك ، عندما كنا نتسلق ونتوغل في الغابة ونبتعد عن القصر ، كنت أشعر بمزيد من الأمن والسعادة . وكان هذا الجانب البري الموحش من الجبل ليس مكانا للخوف : بل انها فالى بأضوائها وترفها التي تراها من هنا .

كان ظننى في محله ، فبعد حوالى عشرين دقيقة من تسلقنا المؤلم لذلك الممر شديد الانحدار ، وصلنا الى ممر مفتوح . . . لم يكن ممرا بالفعل ، ولكنه كان قطعاً واسعاً مستقيماً متخللاً الأشجار ، ربما كان المقصود منه أن يخدم كفاصل للنيران اذا شب حريق في الغابة . وهنا ، أيضاً ، كانت الأرض مغطاة بالأفرع الميتة الجافة ، ولكننا كنا نستطيع أن نرى أفضل على الأقل .

والتفتنا مرة لنتطلع الى قصر فالى . فكان يطفئ

على الجانب البعيد من الوادى شاحبا في ضوء القمر
فوق غاباته المعتمة .. وكان هناك ضوء واحد يلمع
في جانبه .. فلا يزال ليون دى فالى منتظرا ..

وعانينا في الصعود متسلقين ، مع التوقف مرارا
وتكرارا لأخذ قسط من الراحة . وأخيرا رأينا الكوخ .
كان صغيرا ومربع الشكل ، وله سطح منحدر ، وكان
كله مصنوعا من كتل أشجار الصنوبر . كان المصباح
مشتعلا عندئذ .. ولكن .. بالطبع ، سيكون وليم نائما
في ذلك الوقت .

واستدرت لألقى نظرة أخيرة على قصر فالى ، فبدأ
بعيدا وغريبا . اننى لن أعود هناك ثانية .. وامتلأت
عينائى بالدموع .

وبدلا من وجود ضوء واحد في القصر ، بدأ العديد
من الأضواء . فرفعت ، بحنق ، يدي لأمسح دموعي .
ولكن ليس للدموع دخل في ذلك . فكان هناك ثلاثة
أضواء ، بالفعل ، تلمع من جانب القصر . وأثناء
حملتي اضيئت نافذة أخرى . ثم أخرى .. حجرة
النوم ، ثم حجرة جلوسى .. ثم حجرة الدراسة ..
وبعد ذلك رأيت أضواء سيارة قادمة من الساحة
الخارجية . لقد تم اكتشاف هروبنا !

انه لم ينتظر حتى الصباح . لقد دخل حجراتنا مرة أخرى ، وكانت فالى قد استيقظت . ولكن أثناء مراقبتى ، انطفأت الأضواء واحدا تلو الآخر ، تاركين الضوء المنفرد فقط ، بينما كانت أضواء السيارة تتلوى هابطة المنعطفات .

وهكذا لم يوقظ أهل البيت . لقد أرسل شخص ما لمطاردتنا ، وبعد ذلك ذهب هو لينتظر بجانب التليفون . فاستدردت وركضت تحت عتمة أشجار الصنوبر .

كان فيليب يطرق باب الكوخ . وبعد لحظة ستنتهى كل المشكلة ، سوف نسمع صوت أقدام الشاب الانجليزى وبعدها سنكون بالداخل فى أمان .

ومرت نصف دقيقة .. كانت الغابة ساكنة ، والهواء البارد يلفح ظهري .. ومرت دقيقة .. بلاصوت .. لابد أنه كان مستغرقا فى النوم ، فقلت :

- دعنا نرى اذا كنا نستطيع الدخول .

لم يكن الباب موصدا بالمفتاح ، فناديت ونحن نهم بالدخول :

- مستر بليك ! هل انت هنا ؟

فارتد صوتنا ، وساد صمت أجوف لمنزل خاو .
لقد كان بالتأكيد ، موجودا هنا من برهة وجيزة ، إذ
كان حطب الموقد لا يزال مشتعلا ، ورائحة الطعام عالقة
في الهواء . . . لابد أنه كان يعمل هنا ، وقام بأعداد وجبة
طعام لنفسه ، ثم قرر بعد ذلك أن ينزل الى مقهى كوك
هاردى .

كان في الكوخ حجرة واحدة ، بها منضدة خشبية
متينة وبعض الخزانات وكريسيان خشبيان وسرير يبدو
صلدا في أحد الأركان ، مع وجود صندوق تحته . وفي
ركن آخر ، كان هناك سلم خشبي يؤدي الى باب صغير
في السقف . وقال فيليب في صوت متعب خافت :

- ألا نستطيع البقاء هنا ؟

- نعم ، بالطبع . . .

لابد أن السيارة ستتهبط منقبة الطريق الى فيلا أنا .
وهم لن يبحثوا عنا هنا مطلقا . وقلت لفيليب :

- يمكننا أن نتسلق هذا السلم الخشبي . سأصعد
والقى نظرة .

ومن حسن الحظ كان الباب في السقف سهل الفتح ،
فدفعته وانزت الكشاف حول الحجرة التي أسفل السطح

.. كانت مستخدمة كحجرة خزين ، حيث كانت هناك
أكوام من الصناديق والعلب الصفيح والحبال ..
والشئ الذى بعث الراحة الى نفسى أن الحجرة بدت
جافة ونظيفة تماما ..

ونزلت ثانية .. وكما تصورت كانت هناك بطاطين
اضافية فى الصندوق الموجود تحت السرير ، فأرسلت
فيليب الى أعلى السلم الخشبى وناولته البطاطين ،
واحدة تلو الأخرى ، ثم أدت الكشاف حول الحجرة
كلها ، لتأكد من أننا لم نترك أى أثر لوجودنا ، ثم
تسلقت مرة أخرى لأنضم الى فيليب فى حجرة الخزين .
كانت البطاطين ضرورية فى هذا الجو البارد ، فتدثرنا
بها ورقدنا شاكرين لننام

غط فيليب فى النوم فى الحال .. ورقدت متصنئة
لآلاف للأصوات المنبعثة من أعماق السكون الذى يلفنا .
اننا فى أمان هنا ، أمان تام .. واستطعت أن انام ..
وانطلق صوت فتح الباب فى ذلك السكون النائم
مثل طلقة البندقية ..

انه وليم بليك ، بالطبع .. لا بد أنه هو ، ولا بد
انى نمت أكثر مما ظننت ، والآن قد أصبح الصباح ،

وهاهو قد عاد .. ورفعت رأسي لأسمع ، ولكنى لم
أقم بأية حركة أخرى ..

وخطا الرجل القادم خطوتين أو ثلاثا ، ثم توقف
تحتنا ، واستطعت أن أسمعه يتنفس بشدة ، كما لو أنه
كان يركض .. ووقف ساكنا تماما لمدة طويلة .

وانتظرت للأصوات المطمئنة لاشتعال المصباح ، أو
لصوت الحطب وهو يحترق في الموقد .. ولكن لم يكن
هناك سوى السكون والتنفس السريع . وبعد ذلك ،
حتى التنفس انقطع !

أعتقد أن تنفسي قد انقطع أنا أيضا . عرفت عندئذ
أنه ليس وليم بليك . كان الرجل من تحتنا يمسك
بتنفسه ليستمع لنا ، ليلتقط أدنى صوت قد نصدره .

لقد تعقبنا وتصيدنا في مخبأنا .. لا يمكن أن يكون
ذلك حقيقيا ، ولكنه حدث . لقد وصل صائدنا بالفعل !

ترك تنفسه على سجيته ثانية ، وتحرك عبر أرضية
الحجرة .. وعندئذ سمعت صوت المصباح الزيتي
« القنديل » وهو يشعله ، ثم صوت سباب ، لأنه على
ما أظن ، انطفأ القنديل ثانية . وبعدها بثوان جاء صوت
اشتعال عود كبريت آخر .

لا يمكن أن يكون الصباح قد أتى بعد ، ولم يكن
بالطبع وليم بليك ، فالسباب والشكائم كانت باللغة
الفرنسية ، وفي صوت اعتقدت أنني أعرفه .. انه صوت
برنارد !

واشتعل المصباح عندئذ .. واستطعت أن أرى
خيوطا دقيقة من الضوء بين ألواح السقف الخشبية .
كان يتجول بطريقة بطيئة متعمدة ، فكانت مخيفة أكثر
من الخطوات المسرعة .. ربما لا يعرف كنه هذه
الحجرة ، وفكرت ، ربما لا يلاحظ السلم الخشبي ..
هذا اذا لم يستيقظ فيليب أو تصدر عنه أية حركة .

ما زال الرجل يتنفس بصوت مرتفع . وعندئذ جاءت
خطوات الأقدام تحت السلم الخشبي ، وسمعته يتحرك
قليلا حيث قبض بيديه عليه . نعم ، لقد عرف برنارد
أننا هنا . وكان التنفس العالى ليس مرجعه الركض ،
ولكن الاثارة ..

وهنا جاء صوت مفاجئ لخطوات سريعة خارج
الباب . فسب برنارد مرة أخرى وفتح الباب ، ثم قال
صوت غريب :

- من هنا ؟ أوه ، برنارد ، أهذا أنت ؟ ماذا تفعل
هنا ؟

وتحرك السلم الخشبي مرة أخرى حيث أفلته برنارد ،
وقال :

- هاللو جول !

لم يكن يبدو مخمورا ، ولكن صوته كان غليظا
ثابت تعاما :

- عساي أسألك نفس السؤال . ما الذى أحضرك
الى هنا ، فى هذه الساعة ؟

وأغلق الشخص الآخر الباب ودخل الحجرة .
وقال :

- من واجبات حرس الليل . . فمئذ اضطراب
حريق الغابة فى الشهر الماضى ونحن علينا أن نفعل
ذلك . . وهانذا أقطع الغابة غدوا ورواحا طوال الليل
البائس . . ولقد تزوجت منذ أسبوعين فقط !

فضحك برنارد قائلا :

- حظ عاثر أيها الزميل القديم !

- دعنا نضع بعض الحطب فى الموقد . . أه ، هذا
افضل ! والآن ، ماذا تفعل هنا ؟ اذا كنت تريد الشاب
الانجليزى ، فهو تحت عند مقهى كوك هاردى الليلة .

فقال برنارد ، متحدثا ببطء وبوضوح :

— لا ، ليس الشاب الانجليزى .

— لا ؟ ماذا ، اذن ؟ لابد أن لديك سببا للمجئ
الى هنا فى منتصف الليل ، وأنا أحب أعرف هذا السبب
.. ان هذا المكان من أملاك ديودونى ، تعرف ، وأنا
مستول عنها !

فقال برنارد :

— حسن . هنا أمور غريبة تحدث الليلة فى قصر
فالى . هل سمعت عن مربية فيليب الصغير الانجليزية .
اسمها مارتن ؟

— هذه الفتاة الصغيرة الجميلة التى كانت تطارد
مسيو راؤل ؟ ماذا فعلت ؟

— لقد اختفت ، هذا ما قد فعلته !

— حسن ، ليس من الصعب معرفة مكانها ، اليس
كذلك ؟ ومسيو راؤل ..

انسى مسيو راؤل الآن .. لقد أخذت الصبى
معه !

— ماذا ؟ فيليب الصغير ؟ هل أنت متأكد ؟

— يا لللعنة ، بالطبع نحن متأكدون ! صعدت المدام منذ ساعات قليلة الى حجرة الولد لتلقى عليه نظرة .. فلم يكن هناك ! والمربية قد ذهبت أيضا ! فتكدت المدام بشكل فظيع . ولذلك أبلغنى السيد أن أخرج وأبحث عنهما .. لقد نزلت الى ثونون ، ولكن ، يا لللعنة ، لم يكن هناك أثر لهما .. ولا يبدو أن السيد نفسه كان قلقا ، فهما لابد أن يظهرأ قريبا جدا على أية حال .

— ولكن لماذا سيصعدان الى هنا ؟

— انها فكرة السيدة . يبدو أن الفتاة قد شوهدت فى ثونون مع الشاب الانجليزى . حسن ، انها ليست هنا بالتأكيد ، لذلك أعتقدأن من الأفضل لى أن أعود . هل ستأتى معى ؟

لم يجب جول مباشرة ، ولكنه قال بعد برهة :

— تلك الفتاة مارتن .. كان هناك كلام .. كلام كثير !

ولم يبد برنارد أى اهتمام . وقال جول بعد لحظة :

— الناس يقولون .. أن مسيو راؤل ينوى الزواج منها .

فقال برنارد :

- أوه ، هذا .. حسن ، انه حقيقى .

- يا الهى ، حقيقى ؟ وهكذا قد أوقعته فى شباكها ،
الأحمق المسكين .. انها ليست على شاكلته .

فقال برنارد ، وهو مايزال يتحدث بهذه الطريقة
البطيئة الغريبة :

- انه لم يكن أحمق أبدا . اذا كان يريد أن
يتزوجها . حسن ، فهذا ما يريده . والآن دعنا نذهب ،
هل ممكن ؟

- برنارد .. وتلك الفتاة

كان هناك شىء ما مزعج بخصوص صوت جولى .
كان يبدو متعجلا وخجلا بعض الشىء . وقال برنارد
بصبر فارغ :

- حسن ؟

- هل أنت متأكد أنها .. أنها لا تقوم بما يؤدى
الصبى ؟

— ما الذى تقصده ؟

— حسن ، الناس يقولون أنها لديها ٠٠ طموحات .
لماذا تقف طموحاتها عند الزواج من مسـيو راول ؟
ماذا الذى يعرفه أى امرئ عنها ، على أية حال ؟
من هى ؟ !

— انها يتيمة انجليزية ٠٠ من أسرة طيبة ، على
ما أعتقد ٠٠ هذا كل ما أعرفه ٠ ولكنها تبدو شغوفة
بالصـبى !

.. ان الصـبى لن يجعلها المدام كونتيسة فالى

برهة سكون ، بعدها ضحك برنارد قائلاً :

— كلما أسرعنا فى العودة الى فراشك كان أفضل
٠٠ ان هواء الليل يعطيك تهيؤات سأقوم بتوصيلك حتى
سوبيرو ٠٠ ما رأيك ؟ لقد تركت السيارة تحت نهاية
المرر ٠

وتحرك فيليب بجانبى وهو نائم ، وقال شيئاً ،
فقال جول بحدة :

— ما هذا ؟

— ماذا ؟

— سمعت شيئا • • تقريبا يشبه الصوت •

فضحك برنارد تحتنا تماما ، ضحكته القصيرة
الجامدة وقال :

— فأر يا عزيزي جول • حسن ، دعنا نذهب • •
يمكنك أن تذهب أمامي ، وسأعود لأطفئ المصباح
وأقفل الباب • سوف أتبعك • •

فقال جول بحزم :

— سوف انتظرك هنا • •

— ايه ؟ أوه ، حسن جدا • • هذا كل شيء • •

وزهدا • • لقد سمعت الباب يفتح ويقفل ، ثم سمعت
صوتيهما في الخارج يزداد خفوتا الى أن التهمه السكون
• • ورقدت ثانية ، وأنا أرتعش كأنى أصبت بالحمى !

كأن الراحة المفاجئة بعد كل هذا الرعب قد اتعبتني
• • وكنت طوال المحادثة قد فتحت أذنى لأحصل على
كل كلمة • • وكنت أحاول أن أخمن نوايا الرجلين لقد
دار عقلى كالرحى فى ارتباك • وبدأ لى فى إحدى اللحظات
أننى يجب أن أصرخ منادية على جول ومظهرة نفسى
له ، فهو ليس موظفا فى قالى • وهو على الأقل ، سوف

ينقذنا من أى ضرر قد ينويه برنارد . ولكنى فى اللحظة التالية ، وجدت نفسى أستمع لجول يتهمنى وأستمع لبرنارد وهو يدافع عنى ! وما قاله برنارد له كان مدهشاً جداً ، أيضاً ..

ليون دى فالى لم يكن قلقاً ، كنت معروفة بأنى مغرمة بفيليب ، زواجى من راؤل كان أمراً مفروغاً منه ومقبولاً . لقد كانت محادثة غريبة جداً حقاً . لقد كان لدى شعور بأن هناك شيئاً غير طبيعى بخصوصها .. وكانت طريقة برنارد البطيئة الحريصة غير طبيعية أيضاً ..

رقدت هناك فى هدوء ، مستمتعة بأمننا وبالسكون المخيم فى ديودونى . وتحرك فيليب مرة أخرى وقال :

— مدموازيل ؟

ثم عاد لينام . فابتسمت ، واعتقدت انه اذا كان قد تكلم بهذا الوضوح من قبل ، لكان برنارد قد سمعه . وعلى كل ، فلقد كان واقفاً تحتنا مباشرة ، بينما كان جول قد ابتعد ...

وتجمدت فجأة . لقد سمعه برنارد بالتأكيد ..

بالطبع قد سمعه برنارد • لقد عرف برنارد أننا
كنا هنا • لقد عرف بالفعل أنني كنت أتصنّت لكل كلمة
قالها ، ولا عجب أن المصادفة قد بدت غير طبيعية •

لم يناسبه أن يعثر علينا أثناء وجود جول هنا •
ولهذا كان السبب - رغم أنه فوجيء بوجود جول وهو
في طريقه الى مخبأنا - أنه لم يتم بحثه • ولهذا كان
السبب أنه قد رفض أن « يسمع » ما قد سمعه جول ،
ولماذا حاول أن يجعل جول يذهب أمامه ، بينما تخلف
هو لينقض علينا • ولكنه لم ينجح في ذلك • ولهذا فهو
سيعود •• بمفرده ••

قد يأخذ جول في سيارته الى بيته ويدعى أنه ذاهب
الى فالن ، وعندئذ سوف يعود ثانية بأقصى سرعة
يقدر عليها ، لأن الليل سيتحول بعد قليل الى صباح ،
والليلة ونهار الغد هو كل الوقت الذي لديهم ••

لم أبحث الفكرة أكثر من ذلك ، ولم أرغب في وضعها
في كلمات تركتها كما هي كخوف عديم الشكل ، يدق في
جسدي ، ولم أستطع تصور كيفية تنفيذهم لذلك ، ولكن
في ذلك الجحر المعتم عند قمة الغابة المنعزلة ، كان يبدو
أى شيء ممكنا •• وجاءت الى ذهني صورة مفاجئة

لليون دى فالى ، وهو يراقبنا من خلف تلك النافذة
الساطعة عبر الوادى ، يقتنصنا من أعلى وهو على
كرسيه المتحرك ، وكأن ذلك بواسطة شعاع سحرى
يقتفى أثرنا عبر الغابة • ليون دى فالى ، ظل ملتو
ضخم ، يطول حتى يطولنا أينما كنا لماذا فكرت فى أنى
أقدر على الفرار منه ؟

كانت الدموع السخيفة تنهمر على وجهى ••
فانحنيت لأوقف فيليب •• !

الفصل الثامن عشر

استيقظ على الفور ، متساءلا :

- مدموازيل ؟ هل جاء الصباح ؟

- نعم ، انهض يا حبيبي . لابد أن نذهب !

- وهو كذلك . هل أنت تبكين يامدموازيل ؟

- يااله السماوات ، لا ! والآن ، هيا بنا !

فقفز في الحال ، وفي وقت قصير جدا كنا قد هبطنا
السلم الخشبي . كان الفجر يكاد يبرز في الخارج ،
وأثناء ارتداء فيليب خذائه تطلعت في خزانات ورفوف
وليم بليك ، وقلت في ابتهاج :

- خبز ! علبه سردين .. كعك .. وشيكولاته !
هذا جميل !

- هل ستتناولين الافطار الآن ؟

- مع الأسف لا .. من الأفضل الا ننتظر هنا حتى
يعود مستر بليك .. سوف نتجه صوب ثونون !
والقيت نظرة خاطفة حول الكوخ ، وقلت :

- كل شيء على مايرام ، هيا بنا نذهب !

اذا كان برنارد قد أخذ جول الى سوبيرو ، فلن
يكون قد عاد بعد ؟ ولكنى تطلعت من النافذة عبر
الأشجار المعتمة بخوف .. لا شيء يتحرك هناك ..

تسللنا خارجين من الكوخ وتسلقنا الى أن وصلنا
قمة التل . كان قلبي يبق بعنف ، ولكن الغابة كانت
هادئة تماما ، فيماعدا أصوات الطيور التي تطير بين
قمم الأشجار . وعندما وصلنا فوق قمة الهضبة شعرت
بأمان أكثر . وكان الدرب العريض مستقيما وخاليا ،
فركضنا عبره لنحتمى تحت الأشجار .

وبعد برهة جئنا الى تل صخري بين الأشجار ،
وهنا سمعت صوتا لمياه جارية ، وصرخ فيليب قائلا :

- أنسة مارتن ، كهف ! هناك كهف !

- وينبوع ماء • أظن أننا سنتناول افطارنا هنا •

لم يكن كهفا حقيقيا ، بل مجرد ركن جافا تحت جدار معلق من الصخور ، لكنه منحنا وقاء من رطوبة الغابة ، والأهم من ذلك •• هيا لنا شعورا بالطمأنينة •
وأثناء تناولنا الطعام ، بزغت الشمس فصبغت قمم الأشجار باللون الذهبي !

قد يبدو أمرا سخيفا أن أقول ، انى استمتعت بذلك الصباح • كانت الغابة آية في الجمال في ضوء شمس الصباح ، وكنا أحرارا •• وكنا في طريقنا الى ثونون ، ومسيو هيبوليت سيأتى الليلة • وفي هذا الصباح الجميل بدا شبحا ليون دى غالى وبرنارد الشريرين بعيدين وغير حقيقيين •

لم نسرع • كان لدينا متسع من الوقت وكان كلانا متعبا • وقبل منتصف النهار بقليل وصلنا الى الطريق الذى كنت أمل العثور عليه •• وانعطف الطريق فى الاتجاه الذى أردنا الذهاب اليه ، مرتفعا فوق طريق الوادى الرئيسى • وأثناء هبوطنا منه سمعنا صوت سيارة • فقلت بسرعة :

- اختبئ يا فيليب !

وفي لحظة كنا فوق الضفة المنزقة وبين ستر من الشجيرات عند القمة .. وعندما ألقينا أنفسنا منطرحين أرضا ، ظهرت الكاديلاك من تحتنا . كانت النافذة مفتوحة فראيت وجهه .. وتأرجحت السيارة مبتعدة ، وهمس فيليب قائلا :

- هذا ابن عمي راول !

- نعم .

- ظننت أنه في باريس !

- وأنا أيضا .

- الا نستطيع .. أليس في امكانه أن يساعدنا ؟

- لا أدري يا فيليب ..

ومرت لحظات سكرن ، ثم قال فيليب في اندهاش :

- ابن عمي راول ؟ ابن عمي راول ، أيضا ؟ لا

تثقين فيه يامدموازيل ؟

فقلت :

- نعم ..

ثم قلت بطريقة هوجاء :

- لا !

- ولكن لماذا ؟

- فيليب ، من فضلك ، لا أستطيع ..

وأشحت بصرى بعيدا عنه للحظة ، ثم قلت :

- ألا ترى ، أننا لا نستطيع أن نجازف بأى شكل من الأشكال . مهما كنا متأكدين ، فعلينا أن نكون .. فعلينا أن نكون متأكدين .. ألا ترى ذلك ؟

إذا رأى فيليب أى خطأ فى هذه الملاحظة السخيفة ، فهو لم يظهر ذلك .. ومد يده بخجل ولمس يدى .

ورقدنا هناك بين شجرتين صغيرتين . كان عقلى مملوءا براؤل .. لم أستطع ، بكل ما فى الكلمة من معنى .. لم أستطع أن أقبل أنه كان حقا يشترك فى المؤامرة مع الآخرين . كان يمكن لكل شىء قاله وفعله أن يكون له تفسير برئ . أو هكذا قلت لنفسى .. لم يكن يعلم بالمحاولات الخاصة بالحصول على مربية لا تستطيع التحدث باللغة الفرنسية ، لقد بدا مصدوما مثلى فى حادث إطلاق النار فى الغابة ، واستلته اللاذعة

عن وليم بليك ، لعلها كانت بسبب الغيرة ، وليس ضيقا
 من أن اليتيمة التي « بلا صديق » لديها صديق انجليزى
 ذو مظهر قوى فى المنطقة ، وصوت نفير السيارة ذاك
 الذى أخرج فيليب الى الشرفة قد يكون محض مصادفة
 ٠٠ ان برنارد لم يتحدث عنه . أما بالنسبة لقول برنارد
 لبيرث أن راؤل هو الذى أطلق النار على فيليب ٠٠٠
 حسن ، ربما برنارد لم يرد أن يظهر نفسه أمام بيرث
 كقاتل .

كانت الأفكار تدور وتدور فى عقلى . وقلت لنفسى ،
 ليس من الصالح ، ومن أجل انقاذ فيليب يجب على أن
 أفترض بأن راؤل مذنب .

همس فيليب فى أذنى قائلا :

— يوجد شخص ما فوق قمة التل خلفنا . لقد جاء
 لتوه من الغابة . اظن أنه برنارد . هل هو فيها—
 أيضا ؟

فاومات ، ثم رفعت رأسى بحذر . انه برنارد
 فعلا ! ٠٠ لقد كان فوقنا ٠٠ على بعد مائتى متر ، وكان
 يتطلع الى المنحدر الذى تحته . لم يكن هناك حاجة
 لأخبر فيليب أن يظل ساكنا ، فكلانا رقد ساكنا كالأرنب
 ٠٠ ومرت اللحظات . كان يتطلع نحونا .

كان قادماً بسرعة هابطاً التل في اتجاهنا • أظن
أن الأرنب يظل ساكناً أثناء اقتراب الصياد على أمل
أنه لم يره •• وظللنا ساكنين !

لقد قطع نصف المسافة مبطناً سرعته ، عندما
سمعت الكاديلك تعود مرة أخرى • وتوقفت قريباً منا ،
وانطلق نفيها مرتين ، ورأيت راؤول يرفع يده ، فغير
برنارد الاتجاه وسار مسرعاً هابطاً الى السيارة ••
قال راؤول شيئاً ، فهز برنارد رأسه ، ثم أشار الى جانب
التل الذى من فوقنا ، ثم ركب بجانب راؤول •• وسارت
الكاديلك ببطء من تحتنا •

وبعد برهة وجيزة نهضت قائلة :

- تعال ، هيا بنا نبحث عن مكان نتناول فيه
غداءنا بعيداً عن الطريق •

وبعد أن تناولنا طعامنا ، ذهبنا الى داخل الغابة
ثانية • ولم نلتقى بأحد على الإطلاق • وبعد الظهر
خرجنا من تحت الأشجار الى مساحة فضاء مسطحة
مغطاة بالحشائش والعشب الأخضر المريح للعين ••
وهناك أخيراً ، ليس بعيداً عن الشمال منا ، رأينا المياه
الزرقاء المتلألئة لبحيرة جنيف •

ولم تكن أسطح منازل ثونون تبعد من تحتنا أكثر
من كيلومترين ، فقال فيليب :

- أنا أعرف هذا المكان . لقد جئت الى هنا مع
عمي !

- هل تتذكر الطريق الى ثونون ؟

- نعم ، بالطبع . هناك ممر هابط أعرفه .

فقلت :

- حسن ، اذن سوف نذهب الى فيلا أنا هذا
المساء ، وننتظر عمك . والآن دعنا ننام قليلا .

استيقظت عند أول نسمة مساء باردة ، ورأيت
الشمس على وشك المغيب خلف الجبال ، فنهضت على
قدمي وقلت :

- الآن ، أرني ممرك يا فيليب !

تذكر الممر تماما ، وبعد نصف ساعة كنا نسير في
شوارع ضيقة ، فيها أناس من حولنا ، ولكن لم يعرنا
أحد منهم أى انتباه .

قام فيليب بالارشاد بكل ثقة طول الطريق ، وإثناء

سيرنا في أحد المنعطفات ففتح باب مطعم صغير فجأة ،
فخرجت منه رائحة سماوية لبخار طعام ساخن ، فتوقفنا
ونظر كل منا للآخر ، فقللت :

• حسن ، أننا لمحوظين حتى الآن •

• ودخلت مع فيليب الى الضوء والدفء •

• طلبنا طعامنا وأكلناه بسعادة بالغة • ولا أحد في
المكان المزدهم كان يبدي أدنى اهتمام بنا •

• كان هناك تليفون في المطعم ، فذهبت لأتصل بمقهى
كوك هاردي •

• أريد أن أحدث مسيو بليك من فضلك •

• من ؟

• لم يبد الصوت في الطرف الآخر من الخط أى ود •

• مسيو بليك • الشاب الانجليزى • هل هو

موجود ؟

• استطعت أن أسمع الرجل الذى في الطرف الآخر
يقول شيئاً لشخص آخر بجانبه ، ثم قال لى :

• لا ، انه ليس هنا •

ثم بدت على صوته الريبة وهو يسأل :

— من الذى يتكلم ؟

— هل من المحتمل أن يأتى الليلة ؟

— ربما .. من أين تتكلمين ؟

إذا لم أجب ، فقد يفتفون أثر المكالمة ، ثم قد يتصلوا بفالمى ، و .. و لم أتوقف لأفكر ، بل قلت :

— من ايفيان ، مقهى ماريان . من فضلك أخبر مستر بليك أننى سأتصل به فيما بعد ..

ووضعت السماعة وحملقت فى تعاسة فى التليفون .
.. ترى أين وليم بليك ؟! إذا وصلته رسالتى ، فقد يدرك أنى أحتاج لمساعدة ، ويأتى مباشرة الى ايفيان .
كنت ، لا أدرى لماذا ، متأكدة من رغبة وليم بليك فى مساعدتى ؟!

الفصل التاسع عشر

كانت فيلا أنا تقع مباشرة على شاطئ بحيرة جنيف ٠٠ كانت واحدة بين صف من بيوت فخمة ثرية تحف بجانب البحيرة ، ويؤدي إليها طريق ضيق منخفض بعض الشيء عن الطريق الرئيسى ٠٠ وكانت معظم المنازل تشمخ وسط حدائق كبيرة مكتظة بالأشجار وتحميها عن الطريق جدران عالية وبوابات كبيرة .

كان الظلام دامسا عندما وصلنا فيلا أنا ٠٠ وكانت البوابات الحديدية الثقيلة مغلقة ، وكان هناك ضوء يلمع من خلفها ٠٠ انه منزل مربع صغير يقع وراء البوابات مباشرة ، وقال فيليب :

- ان مدبرة المنزل تعيش هنا هى وزوجها .

فسألته :

- هل تريد أن تذهب اليها حالا ؟

- لا ، فهى ستتصل بعمى ليون ، أليس كذلك ؟

- أكيد . هل توجد طريقة أخرى للدخول ؟

- يمكنك الدخول من شاطئ البحيرة ! .. ان الحديقة تمتد حتى هناك ، حيث توجد حظيرة المراكب ، ولكنى لا أعرف الطريق الهابط المؤدى الى البحيرة .

- سوف نبحث عنه !

وفعلنا .. وبعد مسافة من الطريق وصلنا الى ممر ضيق بين حديقتين ، فتبعناه هابطين الى أن وصلنا أخيرا الى حافة الماء ..

لم يظهر القمر ولا النجوم فى تلك الليلة ، وكان الضباب يجثم هنا وهناك فوق البحيرة .. وشققنا طريقنا على طول الشاطئ الصخرى ولم يكن هناك أى صوت سوى حركة الماء اللطيفة على الأحجار .

كانت حظيرة المراكب عبارة عن مبنى صغيرة ، له

طابقان .. كان قائما فوق الماء .. مطلا على ضفة
منحدرة تتخللها الأشجار ، وسأل فيليب :

— هل سندخل ؟

— ليس بعد .. أريد أن ألقى نظرة على المنزل ..
لعل عمك قد حضر بالفعل .

تسلقنا الضفة الزلقة وزحفنا برفق فوق الحشائش،
ثم سرنا تحت الأشجار الكبيرة . وعندما اقتربنا أكثر ،
رأيت أن المنزل يطل على البحيرة وبه ساحة أمامية
وطريق عريض للسيارات بجانبه .. ولم نستطع أن
نرى أى ضوء من أى نافذة .. وقلت برفق :

— مع الأسف ، انه لم يصل بعد !

وعندما أصبحنا في مستوى الساحة الأمامية تقريبا
قلت :

— ما هذا الضوء الساطع خلف الشجيرات ؟

— انه خارج الباب الأمامى .. هناك سيارة !

كانت السيارة تقف خارج البوابة .. ورأينا خيالا
يخرج من خلف المنزل ويسرع في اتجاه البوابة وهمس
فيليب قائلا :

• - انها مدبرة المنزل ، انا لا احبها كثيرا .
وسمعنا صوت فتح البوابة الحديدية الثقيلة ،
ودخول السيارة • ووقفت بعيدا وراء الشجيرات ،
وتنفس فيليب وهو يقول :

- عمى هيبوليت !

عندئذ تحدث صوت الرجل في الظلام ، فأمسكت
بأنفاسي ثم قلت :

- لا •• هذا راؤل !

وسمعت مدبرة المنزل تقول :

- لا يامسيو •• لا شيء يامسيو •• ولا يوجد أى
أثر لهما ؟

فقال بايجاز :

- لا أثر • هل أنت متأكدة أنهما لم يحضرا الى
هنا ؟ هل الباب الخلفى مغلق ؟

- لا يامسيو • ولكنى متأكدة ،أنهما ليسا هنا •

فقال :

- على كل ، لابد أن القى نظرة ..

وسمعت باب السيارة يفلق ، ثم سمعت وقع خطواته على طريق السيارات ، فهمسست قائلة :

- التزم بهذه الشجرة ، وقف خلفها . فقد يوجه أى ضوء نحونا ..

وعندما توقفت عن الحديث ، أضيئت نوافذ حجرة الجلوس ، وسطع الضوء عبر الساحة .. انتظرنا في الظلام ، نراقب أضواء حجرة بعد أخرى ثم اعتامها ثانياً . كان يمر بكل حجرة في المنزل . وعندما انتهى من ذلك ، ظلت النوافذ المظلة على الساحة هي الوحيدة المضاءة .. وجاء الى أحد النوافذ الطويلة ، وفتحها وخرج منها .. وامتد ظله الطويل عبر الساحة ، فاقتربت من جزع الشجرة أكثر . ولم أستطع أن أراه من مكاني ، كنت أرى ظله فقط .

وفجأة اختفى .. وسمعت سيارة أخرى على الطريق ، وتأرجحت الأضواء عند البوابة ، وقال صوت راؤل :

- برنارد ؟

- مسيو ؟

كان برنارد قادما حول ناصية المنزل ..

وقال راؤل ، بصوته الجامد السريع لمديرة المنزل :

- الا يوجد أى اثر ؟

- أبدا يامسيو . ذهبت الى الكوخ ، ولكنهما ليسا

هناك !

- ربما ذهبا للبحث عن الشاب الانجليزى . هل

اكتشفت أين هو ؟

- لقد خرج طول اليوم مع مجموعة من الرجال

الى الغابة ، ولم يعد بعد . ولكنى اتصلت الآن ،

وأبلغونى بأنها قد اتصلت به فى مقهى كوك هاردى ،

منذ خمس وأربعين دقيقة .. انها

- يا الهى ! من أين كانت تتكلم ؟ هل فكر الأغبياء

فى السؤال ؟

- نعم ، بالفعل ياسيدى .. لقد سمعوا كل شئ

عنها من جول ، تدرى ، أنه

- ومن أين كانت تتكلم ؟!

- من مقهى ماريان ، فى ايفيان . انهم قالوا ...

- اذن ، فهى لا يمكن أن تكون مع الشاب الانجليزى
حتى الآن .. سوف اذهب الى ايفيان فوراً .. يمكنك
أن تقبضى .. لابد أن نعثر عليهما !

واختفت الأصوات حول ناصية المنزل ، وبعدها
بشوان ذهب الكاديلاك .. لابد أن مدبرة المنزل قد
خرجت مرة أخرى ، لأننى سمعت برنارد يتكلم معها ..
ولم أستطع أن أثبت ما قاله ، ولكنى سمعتها ترد قائلة :

- قالوا أنه لابد أنه يأتى حوالى الثانية عشرة .
وبعدها ذهب برنارد ، أيضا .. فهمس فيليب :

- انه قادم حوالى الثانية عشرة .. هل سمعت ؟

- نعم ، لابد أنها حوالى التاسعة الآن .. علينا
أن ننتظر ثلاث ساعات أخرى .. ولقد ذهبنا مندفعين الى
ايفيان .. هيا بنا نذهب ونغلق على أنفسنا فى حظيرة
المراكب !

أبرز فيليب المفتاح ، وتقدم الطريق الى الحجرة
التي فوق المراكب .. فأشعلت الكشاف لأرى ما فيها ..

كانت حجرة صغيرة منفرة ، مملوءة بأدوات مهجورة
لرياضات الصيف التي تكومت عليها الأتربة ، وقال
فيليب وهو مكتئب بعض الشيء :

- ماذا سنفعل حتى الساعة الثانية عشرة ؟

- ننام ، على ما أعتقد ..

- نعم .. أعرف ، سأنام في المركب !

وسحب شيئاً ما أصفر اللون من بين كومة أدوات
اللعب المطاطية القديمة . فسألته :

- هل هذا مركب بالفعل ؟

- نعم ، سوف ترين !

وبحث عن منفاخ ، وبدأ ينفخه بقدمه ، فقالت :

- أوه ، انه مدهش يا فيليب !

وبدأ الشيء المطاطي عديم الشكل يتحول الى مركب
صغير بداخله مكان يستطيع أن يسعنا نحن الاثنين .

وغط فيليب في النوم على الفور ، ولكنى كنت غير
مرتاحة ، فلم أستطع النوم . وزحفت الدقائق ببطء

شديد ، وأصبحت أشعر بالبرد أكثر وأكثر .. وعند الساعة الثانية عشرة إلا ربعا قلت :

— دعنا نخرج من هنا . مارأيك ؟

كنت النوافذ لازالت معتمة .. ولا يمكن أن يكون قد جاء بعد الى هنا . ولكن مازالت نافذة الساحة الأمامية مفتوحة ، فدخلنا منها .

كانت حجرة الجلوس تبدو ضخمة في ضوء كشافنا الصغير . وكان الأثاث مكسورا بملاءات بيضاء مانعة للغبار . وهمست قائلة :

— هل يوجد تليفون هنا ؟

وقادنى الى قاعة مرتفعة ، فوق سلم جميل فخم ويؤدى اليها ممر عريض ، ثم قال فيليب :

— هذه هي حجرة المكتب .

كانت هذه الحجرة داغثة بالتاكيد ، فسلطت الكشاف عليها وقلت :

— الى أين يؤدى هذا الباب ؟

- الى حجرة جلوس اخرى ، اكبر ، انها لا
تستخدم الآن !

وفتحت الباب . . وكان الأثاث في هذه الحجرة
أيضا عليه اغطية الغبار من فوقه . . فعبرت السجادة
وتوقفت عند شيء يبدو مثل كنبه ، ورفعت ملاءة الغبار
وسلطتها على الوسائد الحريرية التى تحتها ، ثم ناديت
على فيليب قائلة :

- فيليب ، اذا كان لابد أن نختبئ لآى سبب .
فهذا يبدو مكانا طيبا . . تحت ملاءة الغبار !

وتطلعت الى ساعتى . . الثانية عشرة الا خمس
دقائق . . كانت احدى النوافذ تطل على الطريق الذى
تدخل فيه السيارات . ولا يوجد أى أثر لها . . ذهبت
الى مكتب هيبوليت والتقطت سماعة التليفون ، وحاولت
مرة أخرى أن أتصل بوليم فى مقهاه ، وجاءنى صوت
رجل :

- مقهى كوك هاردى !

انه ليس نفس الصوت السابق ، فقلت بشغف :

- ولیم ؟ هل هذا أنت يا عزيزى ؟ أنا لندا . . !

- لندا ؟ اعتقد أن هناك خطأ ما . .

- أنا .. اليس هذا وليم ؟ أوه يالسخفى . أنا
أسفة يامسيو .. هل يمكن أن تحضره لى ، لو سمحت ؟

- طبعا يامدموازيل .. ولكن وليم من ؟

- أوه ، وليم بليك ، الشاب الانجليزى .. هل هو
موجود ؟

- نعم ، انه هنا .. سأحضره لك !

وسمعتة يضحك اثناء ابتعاده .. وتساءلت ماذا
سوف يقول لوليم . وقال لى وليم وفى صوته ريبة وعدم
تاكيد :

- أنا بليك . من أنت ، من فضلك ؟

- أنا أسفة اذا كنت قد سببت لك اية مشاكل ..
أنا لندا مارتن !

- أوه . انك أنت .. الساقى قال انك فتاتى ،
ولم أستطيع أن أخمن .. هل أنت بخير ! والصبى .. ١٩

- بحق السماء ! هل يسمعك أحد يا وليم ؟

- ماذا ؟ أوه ، نعم ، أظن أنهم يستطيعون . ولكنى
لا أعتقد أنهم يعرفون اللغة الانجليزية ..

• حسن ، كن حريصا جدا ولا تجعلهم يسمعون
انا .. انا في حاجة لمساعدة ..

فقال بهدوء :

• بالطبع .. لقد سمعت القصة التى يقولونها عنك
هنا ، وكنت على أمل أن .. متوقعا أن تتصلى بى ..
ماذا أستطيع أن أقوم به ؟

فقلت فى امتنان :

• أود ، وليم .. اسمع ، لا أستطيع أن أشرح
الآن . اننا فى أمان .. ولكن .. سوف أكون ممتنة
جدا جدا اذا أتيت حالا .. ليس هناك خطر الآن ربما
ستحدث مشاكل .. أنا أعرف أنى أطلب الكثير ،
ولكن ...

فقال وليم ببساطة :

• اخبرينى أين أنت ، وسوف أحضر .. هل أنت
فى ايفيان ؟

• لا ، لا .. اذن لقد أخبروك أننى اتصلت ؟

• نعم ، لقد عدت لتوى من ايفيان .. انهم لم
يتذكروك فى مقهى ماريان .

— أوه ، أنا آسفة ! هل شاهدت راؤل دى فالى
هناك ؟

— أنا لا أعرفه .. هل هو يبحث عنك ، أيضا ؟

— نعم !

— أوه ، كنت أعتقد أنك سوف .. قال أحدهم ..
وتوقف دون أن يكمل ..

— مهما كانت القصة التى سمعتها ، فهى ليست
حقيقية . اننا وحدنا ...

فقال وليم بابتهاج :

— أوه .. آه .. نعم ، حسن ، أخبرينى أين أنت
الآن ، وسوف أحضر فوراً ..

• وشرحت له كيف يصل الى فيلا أنا وأنهيت المكالمة •
وبمجرد أن وضعت سماعة التليفون سمعت صوت سيارة
تدخل عبر البوابة ، وأمسك فيليب يدى وشدد عليها
قائلاً :

— هاهو !

فقلت وأنا أرتعد :

— حمدا لله ، لقد انتهى الأمر •

واسرعت راكضة في الممر وفيليب من خلفي .

وتوقفت عند قمة السلالم . لم تكن أنوار القاعة
مضاءة ، وكان الباب الأمامي مفتوحا ، ووقف رجل
عند المدخل ، واحدى يديه مرفوعة لإدارة مفتاح النور .
استطعت أن أرى الظل على ضوء المصباح الخلفي :
كان رجلا طويلا متين البنیان ، يقف ساكنا تماما ، كأنه
يتسمع .

أقلعت في هبوط السلالم ، وكانت قدماي لا تصدران
أى صوت على السجادة السمكية . . ورأى ، فرفع
رأسه وقال :

- هذا هو أنت !!

كان هذا كل شيء ، ولكننى تسمرت وكأنه قد أطلق
على النار . . وأردت للحظة مجنونة أن أستدير وأجرى
ولكننى لم أستطع الحركة . وقلت في صوت لم أعرفه :

- راؤل ١١٩ -

- نعم !

وأضيئت الأنوار ، وتطلعت إليه عبر القاعة الخالية
. . وقد نسيت كل شيء عن فيليب وعن هيوليت وعن

وليم بليك المندفع قادما من سوبيرو ، لم أستطع أن أرى شيئا سوى الرجل الواقف هناك رافعا بصره نحوى .

وأغلق الباب من خلفه . كان شاحب اللون جدا ، وكانت عيناه في صلابة الأحجار . كان يبدو شبيها بليون دى فالى .

— انه هنا ؟ فيليب ؟

واستطعت سماع الحنق فى صوته .

عندئذ رأه عند قمة السلالم . وفى ثانية كان يعبر القاعة ويركض صاعدا السلالم . وبطريقة عمياء سبقته ووقفت على قمة السلالم أمامه واستدريت لأواجهه، وصرخت ، رافعة يدي بلا جدوى ، لأمنع راؤل :

— أجرى يا فيليب أجرى !

وتوقف حيث كان ، تحتى بثلاث درجات . لم يكن يتطلع الى فيليب . كان يتطلع الى ، وقال :

— فهمت !

وأنا أيضا . فهمت ما قد فعلته فى صدمتى وغبائى . وفهمت النظرة التى ظهرت على وجهه ، كانت نظرة

كبرياء مريرة تحبس الحنق وكل احساس آخر • وعرفت
أننى قد حطمت عالمى بيدي •• وقال بثبات شديد :

- عندما وصلت فالى هذا الصباح أخبرنى والدى
أنك قد ذهبت • قال انه اعتقد أنك اتصلت بى •• كان
هناك سببا واحدا فقط أستطعت أن أفكر فيه لعدم اتصالك
بى تليفونيا : وهو أن مكروها قد حدث لك • وعندما
قلت ذلك لأبى ، أقسم بأنه لن يلحق بك أى أذى •• ولم
أصدقه !

كنت أبكى فى صمت •• ولم أستطع النظر اليه •
وواصل راؤل حديثه :

- أخبرته عندئذ أننى نويت أن أجعلك زوجة لى ،
وانه اذا حدث أى شئ لك أو للصبى ، فسوف أقتله
••• أبى ••• بيدي ••

ونظرت اليه عندئذ وقلت :

- راؤل •• !!

ولكنى لم أستطع الكلام •• فقال ببطء :

- نعم ، أعتقد أنى عنيت ذلك بالفعل !!

الفصل العشرون

لم يسمع أحد منا السيارة الأخرى .. وعندما
تأرجح باب القاعة مفتوحا ليسمح لدخول شخصين
.. رجل وأمره .. قفزنا نحن الاثنان .. كان الرجل
غريبا بالنسبة لى ، وكانت المرأة هى هيلواز دى فالى !
.. لم يرفعا بصرهما إلينا ، لأن مدبرة المنزل ظهرت فى
هذه اللحظة ، وقالت مرحبة :

— مسيو ، مرحبا ! أه ، كم أنا سعيدة ...

وقطعت كلامها فجأة ، اثناء تطلعها الى هيلواز .

ثم قالت :

— أوه .. هل الدام مريضة ؟

لاحظت عندئذ أن هيلواز كانت متعلقة بذراع
هيوليت ، وكأنها في حاجة لمساندة ... وقال هيوليت :

— مسيو راؤل هنا ؟

— لا ، ليس بعد ياسيدى . انه قال ..

— ولكن سيارته في الخارج ..

استدار راؤل وقال :

— مساء الخير ياعمى .

فزعت مدبرة المنزل وتطلعت اليه في إندهاش ،
وقالت هيلواز في رعب مرسوم على وجهها :

— راؤل !!

ثم راتنى خلفه ، فصرخت :

— آنسة مارتن !!

نظر الى هيوليت بدون تعبير ، وأعطى ايماءة
صغيرة الى راؤل وسأله :

— عثرت عليهما ؟ هل فيليب هنا أيضا ؟

- نعم ، انه هنا !

فقالت هيلواز :

- سالما .. ومعافى .. ؟ !

كان صوت راؤل جافا جدا وهو يقول :

- نعم يا هيلواز ، سالما .. كان مع الآنسة مارتن !

وقال هيوليت :

- اعتقد من الأفضل أن نتحدث ونناقش هذا الأمر

بهدوء . دعونا نصعد الى حجرة المكتب . تعالى
يا عزيزتى هيلواز !

وساعدها فى الصعود على السلالم ..

لم يتطلع الى أحد . كنت ظلا ، ولست شخصا

حقيقيا .. لا شيء سيحدث لى الآن . كنت سالمة ،
وتمنيت لو كنت قد مت ..

وعندما وصلنا حجرة المكتب اتجهت الى الباب

المؤدى الى حجرة الجلوس وقلت :

- فيليب ؟ كل شيء على مايرام ، يمكنك أن تأتى

.. عمك هيوليت هنا !

ولسبب أو لآخر اتجه الآخرون أيضا الى حجرة الجلوس الباردة . لقد رفع هيبوليت الغطاء من فوق الكنبه ، وجلس واضعا إحدى يديه حول فيليب . ووقف راؤل مستندا على المدفأة . وجلست هيلواز على كرسي صغير مغطى بحرير ذهبي ، وسقطت ملاءه الغبار التي كانت تغطيه عند قدميها . كانت تبدو متعبه .

جلست مبتعدة عنهم قدر الامكان . كان هناك حديث سيتم بينهم . حسن ، دعيهم يجرونه ، عائلة فالى هؤلاء . ولم يعد لى أى شأن بذلك !

ورفعت رأسى وتطلعت اليهم ، وهم جالسين فى هذه الحجرة الجميلة الميته . كان هيبوليت يتحدث برقة مع فيليب . وعلى وجهه ، أيضا ، كان يحمل شكل عائلة فالى بوضوح قوى : كان نسخة أصغر والطف من ليون . واستطعت أن أرى نفس القوة الجامدة فيه ، بجانب اللطافة .

قال لراؤل بصوته الهادى :

- هيلواز قابلتنى عند الطائرة . . . لقد أخبرتنى بقصة غريبة نوعا ما . . .

فقال راؤل :

- من الأفضل أن تخبرنى هذه القصة . . أريد أن أعرف أى شكل من القصص قدمت لك .

فأصدرت هيلواز صوتا خافتا . . وقال هيبوليت :

- يا عزيزى راؤل . .

فقال راؤل :

- انتبهى ، من الأفضل لنا اذا قلنا الحقيقة ببساطة . . تعرفين يا هيلواز ، كان أبى أمينا تماما معى هذا الصباح . . لذلك فلا فائدة من التظاهر أكثر من ذلك . لماذا لا تقولين لهيبوليت الحقيقة ؟

ولم تحر جوابا ، ولكنها غاصت أكثر فى كرسيها . وراقبها راؤل لبرهة بدون تعبير ، ثم قال :

- حسن ، اذا كانت لن تتكلم ، فمن الأفضل أن أخبرك بنفسى .

فقال هيبوليت :

- نعم . . أعتقد أن عليك ذلك . فحاليا ، لا شىء واضح . . لقد اتصلت بى تليفونيا فى اثينا مساء الاثنين لتطلب منى أن أعود للبيت ، لأنك كنت قلقا على فيليب . . تحدثت عن حوادث ، وصممت على أن فيليب فى خطر

بشكل أو بآخر . وقلت أيضا شيئاً ما غير واضح تماماً
من مربية فيليب . . وهيلواز ، أيضا ، تحدثت عنها
الليلة . . وبشكل غير واضح أيضا . وفهمت أن هذه هي
الفتاة المعنية .

فقال راؤل :

- يمكنك أن تنسى مربية فيليب .

(يقصدني أنا . . انه حتى لم يتطلع الى)

- ان القصة تبدأ وتنتهي بوالدى . . ان الذى يجب
أن تعرفه ياعمى هو الآتى : أخوك . . بمساعدة ، أو
على الأقل بمعرفة ، زوجته . . قد حاول منذ وقت مضى
قتل فيليب !!

أصدرت هيلواز أنينا خافتا ، ورأيت الطفل ينظر
إليها . فقلت فى صوت جامد خافت :

- فيليب عمره تسع سنوات فقط . . لقد مر بالكثير
اليوم . أقترح أن تسمحوا لى أن أخذه تحت الى مدبرة
المنزل !

فقفز الجميع وكان واحدا من الكراسى المقطاة
بالملاءات البيضاء قد تكلم ، ثم قال هيبوليت :

- بالطبع لابد ان ينزل للطابق السفلى . ولكنى
أفضل ان تبقى أنت هنا لو سمحت .. دق الجرس ،
من فضلك يا راول !

فأطاع راول ، وظهر خادم عجوز فى الحال ، فقال
هيبوليت :

- جاستون ، من فضلك اصطحب السيد فيليب الى
الطابق الأسفل . وأحضر له شيئاً يأكله . وجهز له
حجرة .. الحجرة الصغيرة التالية لحجرتى ، على
ما أعتقد .. فيليب .. جاستون سوف يعتنى بأمرك !
وقفز فيليب ، مبتسماً ، وركض الى جاستون وأخذ
يده .. وأغلق الباب من خلفهما ..

وعاد هيبوليت مرة أخرى الى راول ، وقال :

- حسن ، من الأفضل ان تستمر فى قصصك ..
وأنصحك أن تتأكد من الحقائق . انه أخى ، تذكر !

فقال راول بخشونة :

- وهو أبى أيضاً .. أما بخصوص حقائقى ، فأنا
ليس لدى الكثير ، ولكن يمكنك معرفتها . حسن ، أنت
تعرف خلفية القصة . اذا لم يولد فيليب على الاطلاق ،

لكان أبى يمتلك فالى ، التى يحبها حبا غير عادى .
وعندما لم يتزوج أخوه الأكبر .. وبالطبع ، كان الأكبر
بكثير من أبى .. كان متاكدا أن فالى ستكون فى يوم
ما ملكه .. ولذلك استخدم دخله من عزبته الخاصة فى
بلفين ، من أجل فالى .. لقد قمت بإدارة شئون بلفين
منذ كنت فى التاسعة عشرة ، وأعرف كيف كان يأخذ
بشكل ثابت كل دخلها .. ولقد تنازعت أنا وأبى على
ذلك مرات عديدة . ومهما كان ، فإن بلفين ستكون ملكى
أيضا ، ولم أكن على يقين من أن أيتين لن يكون له
ولد ..

فقال هيبوليت :

— أعرف . ليون لن يسمع الكلام أبدا ..

فقال راؤول :

— حسن ، وفى النهاية تزوج أيتين فعلا ، وأنجب
فيليب . فكانت النتيجة الفورية أن دخل بلفين قد أعيد
مرة أخرى الى حيث يجب أن يكون ، وكانت وظيفتى
أن أحاول إعادة بناء المكان ثانية .. لابد أن أقول أنى
استمتعت بالكفاح .. ولكن فى العام الماضى مات أيتين
.. وفى الحال بدأ فالى فى أخذ المال من بلفين مرة
أخرى ..

رفع هيوليت بصره قائلاً :

- بهذه السرعة ؟

- نعم . أرى أنك تفهم ما يعنيه ذلك . لا بد أنه
قرر عندئذ أن أمراً ما يجب أن يجرى بخصوص فيليب .
وهناك أحد عشر سنة قبل أن يستلم الطفل الأملك ..
وقد تسنح الفرصة .

فقال هيوليت بقسوة وبحدة :

- تأكد من الحقائق التى تقولها .

- انى كذلك . سأوفر الوقت والازعاج اذا أخبرتك
الآن أن أبى قد اعترف بنيته فى قتل فيليب !

ومرت برهة صمت طويلة . وبدأ هيوليت فجأة
متعباً جداً ، وقال :

- حسن جداً . سأقبل ذلك . لمن اعترف بهذا ؟

- لى .. لا تعباً ، انه مازال مجرد امر عائلى .
تحرك هيوليت فى كرسيه وقال :

- فهمت . وهكذا ذهبت أنا الى اليونان وتخلّيت
عن فيليب ..

فقال راؤل في ثبات :

- نعم . بالطبع لم أدرك عندئذ معنى التغيير في بلفين . فالمرء لا يتوقع أن يكون أبوه قاتلا . كنت في حيرة من أمرى وحانقا لا أكثر . وأصبح بيننا شجار دائم ، وعندما عدت الى قالى في بداية ابريل ، فكرت في ان أعرف كيف تسير أمور فيليب هناك . . انه لم يكن ابدا منزلا طيبا للاطفال . . ولكن الأمور كانت تبدو على مايرام ، ثم وقع في اليوم الثانى حادث خطير .

واستمر في اطلاع هيبوليت عن اطلاق النار في الغابة . . فبدأ على هيبوليت انزعاج شديد ، وحملت هيلواز في الأرض . . ورأيت أن الحرير الذهبى الرقيق لذراع الكرسي قد تمزق تحت أظافرها ، فقال راؤل :

- وحتى عندئذ ، لم أشك فيما يجرى . فالمرء لا يفكر بهذه الطريقة طول الوقت .

- لكنك شككت بما فيه الكفاية حتى جعلك الشك تعود ثانية في عيد الفصح ؟!

كان راؤل مشغولا في اشغال سيجارة ، وبعدها قال :

- لم يكن الشك ، مع ذلك ، هو الذى أعادنى
ثانية .. ولم يكن حتى ليلة حفلة عيد الفصح ، أننى
رأيت فعلا شيئاً أقلقنى . ولكن فى تلك الليلة ، كان
هناك امران . أولا ، أخبرتنى الأنسة مارتن بوقوع حادث
آخر .. افريز فى الشرفة الغربية تخلخل فجأة بشكل
خطير . ولولا انها لاحظته ودفعت بشيء ما تحته فأنقذ
فيليب من نهاية بشعة على القضبان الحديدية السفلية .

وهنا التفت هيبوليت لينظر الى ، وجعلنى التعبير
الذى على وجهه أتساءل ما الذى قد أخبرته هيلواز عنى
.. بالتاكيد أنه بدا مندهشا الآن ، بينما استمر راؤل
فى التحدث عن وليمة منتصف الليل .. وكأنه بدأ يأخذ
صورة مختلفة تماما عنى ، ثم قال راؤل :

- وعندئذ ، كان هناك أمر غريب جدا بخصوص
هيلواز فى تلك الليلة .. لقد بدت خائفة .. ولكنها
الحادثة الثانية هى التى أزعجتنى بالفعل . وكان هذا
هو السبب فى أننى اتصلت بك تليفونيا .. خيل لى أن
أفضل شيء يجب فعله ، من أجلنا ، هو أن نواجهه
سويا ونتيقن بما كان يحدث .

ومرت برهة صمت أخرى ، استمر راؤل بعدها
قائلا :

- ومبكرا في الصباح التالي ، وكان يوم ثلاثاء ،
جاءتنى مكاملة من باريس . كانت بعض الأعمال المتعلقة
ببلفين . وكانوا يحتاجون الى على وجه السرعة .
حسن ، لم أرغب في مغادرة فالى ، ولكنى قلت لنفسى
أنه لا يوجد سبب للقلق . . . لقد أرسلت أطلبك ، وعرفت
أن الأنسة مارتن يمكن الوثوق فيها لترعى فيليب .
ونويت أن أبقي في باريس حتى مساء الأربعاء ، ثم
التقى بك عندما تصل من أثينا ، ونذهب الى فالى سويا
يوم الخميس . ولكنى بدأت أشعر بالقلق مساء الثلاثاء ،
فقررت أن أعود الى فالى بأسرع ما أستطيع ، فحصلت
على مقعد في الطائرة المبكرة في الصباح التالي ، وقدت
سيارتي مباشرة الى فالى . . . وصلت هناك لأجد أن
الأنسة مارتن وفيليب اختفيا .

ثم التفت الى هيلواز قائلا :

- على فكرة ، كيف فسرت ذلك لعمى ؟

ظلت صامئة ولم تتكلم . كان وجهها رماديا وميتا
. . . وتحركت أصابعها فقط ممزقة الحرير الذهبى من
تحتها .

بدا هيبوليت في حرج شديد وهو يقول :

– انها لم تكن واضحة تماما • ولكنى فهمت ذلك •
وعندئذ تكلمت أخيرا وقلت :

– لا يهم ذلك ، سأخبرك بما حدث • لقد اكتشفت
مساء يوم الثلاثاء ما كان يخططه مسيو دى فالى ••
شرب برنارد حتى السكر فى حفلة الرقص وأخبر بيرث ،
أحدى الخادومات ، التى أخبرتنى بالتالى • كان لابد
أن أبعد فيليب •• أنا •• أنا لم أعرف أين أذهب ••
لقد اختبأنا ، ثم جئنا هنا لننتظرك •• هذا كل شيء !

استطعت أن أشعر بعينى راؤل على •• وكان طول
الحجرة يمتد بيننا ، فكانت تبدو المسافة مهولة ••

التفت هيبوليت مرة أخرى الى راؤل ، وقال :

– استمر • عدت ووجدت أنهما قد ذهبا • اظن
انك عندئذ اتهمت ليون بصراحة ؟

– حدث • لم أستطع التفكير سوى فى تفسير واحد:
أن لندا •• الآنسة مارتن حصلت على دليل أن فيليب
أصبح فى خطر ، وقد أخذته وابتعدت به •• ولت نفسى
بشدة لأنى تركتهما ، ولذلك طلبت تفسيراً من والدى •
– نعم ؟

— لم يكن نقاشا سارا • بدأ بقوله أن كل شيء كان كلاما فارغا • ورفض أن يعترف بأى شيء • وأوحى بأن الأنسة مارتن قد تكون لديها أسباب وجيهة لايذاء فيليب هي نفسها • وكانت هذه الفكرة ، بالطبع ، مضحكة • فأخبرته عندئذ أنى أنوى أن أجعل الأنسة مارتن زوجة لى ، وإذا حدث لها أى مكروه ، فسوف •• حسن ، لا حاجة لنا لمناقشة ذلك •• فظهرت عليه الدهشة ••

وهكذا كان حال هيبوليت ، وألقى بنظرة سريعة على ، ثم قال راؤل فى صوت جاف :

— وعندئذ ، غير موقفه • واقترح أننى يجب •• أن ••• أن انضم له ، والأنسة مارتن أيضا ، وأشار الى المزايا التى سوف أحصل عليها أنا وزوجتى من وفاة فيليب • ولم يحاول أن يفهم أننى قد لا أنجذب للعرض • واقترح أن أعثر على لندا وأجعل الناس يعتقدون أنها قد هربت لمقابلتى • وعندئذ يمكننا أن نقدم لك بعض الاستفسارات ، وتعود أنت الى اليونان ، ونتعامل نحن مع فيليب فيما بعد •

تعمق الفزع فى وجه هيبوليت وهو يقول :

— اكمل !

- لم أقل الكثير .. أنا .. لا أستطيع . مجرد
أننى قلت : لا أنا ولا لندا نوافق على ايذاء فيليب ..
وقلت ، من الأفضل أن نعثر على الاثنين المفقودين بسرعة
.. وفكرت أن لندا قد تكون اتصلت تليفونيا بشقتى
بعد مغادرتى لها ، فاتصلت لأكتشف ذلك ، ولكنها لم
تفعل . فكرت عندئذ أن يكون أبى قد كذب بخصوص
مروبوها من قالمى ، وأن أمرا ما قد حدث لهما ، وهكذا
.. أوه حسن ، ليس مهما ذلك الآن . وعرفت أنى كنت
مخطئا عندما دخل برنارد ، لأنه قال أن أبى قد أرسله
للبحث عنهما . وأوضحت لبرنارد الأمر تماما على أنه
من الأفضل له أن يعمل معى حاليا .. وفهم أن اللعبة
قد انتهت ! .. وأرسلته ثانية ليستمر فى البحث ،
وخرجت أنا نفسى بسيارتى . هذا كل شيء !

وجلست لا أفعل شيئا سوى النظر الى قدمى ...
كان هذا كل شيء . وعلمت فيما بعد أنهم نقبوا الوديان
لمدة ستة عشر ساعة متوالية ، واتصلوا بباريس
تليفونيا وقاموا بالبحث والاستقصاء فى المستشفيات ..
ثلاثة أمور أصبحت واضحة لى الآن : أولا ، أن
ليون لم يكن يعرف أن راؤل يريد أن يتزوجنى بالفعل ..

ثانيا : أن راؤل لا يعرف شيئا عن المؤامرة السريعة
الآخيرة في محاولة تسميم فيليب .

ثالثا : منذ قدوم راؤل للبيت وأنا وفيليب لم نكن
في أى خطر . لقد كنا فى أمان طوال اليوم بسبب راؤل .

وخيم الصمت وطال السكون . ونظرت لنهاية
الحجرة . . كان الرجلان يراقبان المرأة الجالسة على
كرسيها . . كانت ساكنة تماما . . كانت تسند ظهرها
على الكرسي وكأنها بلا عظام ، وكانت يداها أخيرا
بلا حراك على الحرير الممزق لمسندى الكرسي . وكانت
عينها الشاحبتان مفتوحتين تماما . . ولم تكن فى حاجة
للتكلم . .

كان صدق القصة مكتوبا على وجهها . . !

الفصل الحادى والعشرون

انفتح الباب ودخل فيليب . كان يحمل فنجانا من الشورية ، يتصاعد منه البخار ، بحرص شديد بين يديه ، وأحضره لى قائلا :

— هذا لك . . . لقد اجتزت يوما صعبا ، أيضا .

— أوه ، فيليب . . . !

ولم أستطع أن أقول أكثر من ذلك .

كان ينظر الى هيلواز الصامته الساكنة فى كرسيها ، ثم قال لها :

- عمتى هيلواز ، هل تريدین أن أحضر لك فنجانا
أيضا ؟

فبدأت تبكى عندئذ ، بصوت رفیع جاف بشكل يؤلم
من يسمعه ، فقلت بسرعة :

- العمة هيلواز ليست على مايرام . من الأفضل
أن تعود ثانية الى جاستون الآن ، يا حبيبى !

فألقي نظرة تعجب ، وذهب فى خضوع ..

كانت هيلواز تبكى ، ولكن بدون دموع فى عينيها ..
وكان جسمها يرتعش . ونظر هيبوليت اليها بشكل
عاجز .. ثم انتقل الى كرسي بجانبها وأخذ احدى
يديها بين يديه ووقف راؤل بعيدا عنهما ولا يزال مرسوما
على وجهه ذلك التعبير المتجمد وهو يخفى أحاسيسه .
وبدأت هيلواز تتكلم أخيرا . كان صوتها فظيعا ،
رفيعا ولاهثا ، وقالت :

- انه حقيقى نعم ، مايقوله حقيقى يا هيبوليت .
لقد استطاع أن يجعل ليون يتكلم .. كان منظرا فظيعا
بينهما .. ولكنى سعيدة أنك عرفت يا هيبوليت . سوف
تخرجنا من هذه الورطة ، أليس كذلك ؟ انها ليست
موضوعا للشرطة .. انها موضوع داخل العائلة فقط !

.. برنارد لن يجرؤ على الكلام .. وراؤل لا يستطيع أن يقول شيئاً .. ليون أبوه ، أليس كذلك ؟ لم يقع أى مكروه .. فالولد بخير والفتاة على مايرام . لا تنظر الى هكذا يا راؤل . فالفتاة مارتن تحبك : ولن تفتح فيها ، و ..

فقال هيبوليت بانفعال بعد أن ابتعد عنها :

— ميلواز ! عرفت كل هذا ؟ أنت ؟ !

فغاصت للخلف فى كرسيتها وقالت :

— نعم ، نعم ، نعم .. كل شيء أبلغك راؤل به .. سأعترف بكل شيء ، اذا ساعدتنى .

والتقت بنظرته المتحجرة وتغير صوتها :

— أنا .. أنا لست شريرة يا هيبوليت .. أنا لم أرد أن أضرب فيليب ، ولكن .. حسن ، انه كان من أجل ليون .. فعلت ذلك من أجل ليون ، لقد تحمل بما فيه الكفاية ، دون أن يبعد عن بيته !

فقال هيبوليت :

— اننا نناقش أمرا أكثر جدية بكثير . محاولة قتل ... لطفل !

- نعم ، نعم . أعرف . . انه كان خطأ ، انه كان
أثما . . ولكنه لم يحدث ، اليس كذلك ؟ أوه ، سوف
تكلم ليون بخصوص هذا ، أستطيع قول ذلك ، ولكنك
ستعمل على أن يبقى في غالى ، اليس كذلك ؟ يمكنك
الوصول الى بعض الترتيبات ، اليس كذلك ؟ . . اليس
كذلك ؟

- لا فائدة من الكلام أكثر من ذلك الآن يا هيلواز .
بدت غير منجبة . لقد تحطم شيء ما في داخلها ،
والآن لم تستطع التوقف عن الكلام :

- سوف تقتله لو ذهب الى بلقين ! وكل مالنا في
غالى ! غالى دنياه ! كان لا يجب أن يولد هذا الطفل
أبدا !

ووضعت يديها على وجهها ، بينما انهمرت الدموع
من عينيها . . وفي تلك اللحظة انفتح الباب بعنف ،
واندفع وليم بليك للداخل مثل دب غاضب ، فقال
هيوليت :

- من أنت بحق الشيطان ؟!

ونظرا لأنه قالها باللغة الفرنسية ، فلم يعره وليم
أى انتباه . . كان يبدو ، كالمعتاد ، مهولا ، انجليزيا

صرفا ، بشعره الأشقر المشوش ، ومسالما جدا • وحملق
في نهاية الحجرة نحوي ، وقال :

– لنذا ! ما الذي يحدث هنا ؟ هل أنت بخير ؟!

– أوه ، وليم !

وركضت اليه عبر الحجرة بطولها •

انه لم يطوقني في ذراعيه بالضبط ، ولكنه أمسك
بي ، وقال :

– ها أنت ، بخير ! هل أصابك أي مكروه ؟

– لا ، أوه لا ، أوه وليم •• خذني من هنا !
ومن خلفي سمعت هيبوليت يقول :

– هيلواز ، من فضلك • يجب أن تتحكمي في نفسك •
سوف تضررين بصحتك •

وقال وليم :

– تمام • سوف نخرجك من هنا !

ووضع ذراعا حول كتفي وأدارني نحو الباب ••

ولكن منظر هيلواز ، التي مازالت تبكي لا تملك

السيطرة على نفسها ، كان كثيرا جدا على ، فقلت :
- انتظر يا اوليم ..

وركعت على ركبتى أمام الكرسي الذهبى الصغير
.. كنت راكعة عند قدمى راؤل . ولم أرفع بصرى
اليه ، وهو لم يتحرك اطلاقا .. وأمسكت بيديها وقلت :

- مدام ، لا تبكى . لا تبكى اكثر من ذلك ! ..
لقد انتهى كل ما فى الأمر الآن . هاك ، خذى منديلى ..
لماذا .. أنت باردة ! ولم تكونى على مايرام فى الفترة
الآخيرة ، أليس كذلك ؟ هل ندخل حجرة المكتب ، حيث
أنها دافئة ؟ دعينى أساعدك على النهوض !

قامت على قدميها متييسسة ، وأخذت بيدها الى
حجرة المكتب . وسارت معى طوعا ، وكأنها كانت تسير
وهى نائمة . كانت مازالت تبكى ، ولكن فى هدوء ..
وتبعنا الآخرون .

أجلستها على كرسي قريب من المدفأة ، وركعت
ثانية بجانبها . لا أدري تماما ما قلته لها بعد ذلك ،
ولكن البكاء توقف بعد قليل ، وقالت فى صوت خفيض
ميت :

- أحبيتك يا آنسة مارتن .. أحبيتك من البداية !

- أعرف أنك أحببتنى .. أن الأمر الآن على مايرام .. ولا تقلقى الآن ، و ..

- انك فعلا لا تلاميذ على الحوادث ، تعرفين لم نقصد أن نلومك في البداية .. ليون أحبك أيضا • أنه قال : انها شجاعة كشيطان صغير ، وليس من الرحمة اذا تسببنا لها فى اذى ..

فقال راؤل بهدوء :

- ماذا كان يعنى بذلك ؟

ولم تعر ذلك انتباها .. وبدت واعية فقط بنفسها وبى .. ثم قالت :

- وقال من يوم أو يومين فقط • طبعاً ، بعد الحادث الثانى ، فى الشرفة • عرفنا أن علينا أن نطردك .. وقال انك متيقظة أكثر من اللازم : وانك ستبدأين فى الشك فىنا ، اذا حدث أى شىء آخر • وكنا مسرورين عندما منحتينا عذرا لابعادك • وفكرت أنت أنى كنت خائفة ليس كذلك ؟

- نعم يامدام ..

- ثم وصلتنا البرقية من هيبوليت .. وكان علينا

ان نفعل شيئاً بسرعة ٠٠ وكانت هناك قصص في القرية
عنك أنت وراؤل ، وعن أنك على وشك الابعاد والطرود ،
فقال ليون أن هذا سيكون مفيداً فيما بعد ٠

وسمعت راول يأخذ نفساً كأنه سيتكلم ، فقلت :

— نعم ، أعرف ٠ البرتين بدأت في الاشاعات اليس
كذلك ؟

— لم تكن تعرف ماكننا نحاول القيام به ٠ ولكنها
لم تكن تحبك ٠ انها لم تحبك اطلاقاً ٠ انها هي التي
ابلغتنى بالخطأ الذي قممت به بخصوص الدواء في ذلك
الوقت ، وأرادت أن أفكر في أنك مهمة ٠ ولكن ذلك
أعطانا فكرة استخدام الأقراص المنومة لتسميم فيليب
٠٠ كان في السكر ، السم كان في السكر الذي تستخدمه
في شيكولاتته ٠

— مدام ٠٠ !

— ومن حسن الحظ لم يبق كثير من السكر في
العلب ، وهكذا ازلنا اللون الأزرق من الأقراص
وسحقناها وأعدنا خليطاً قوياً ٠ ربما أقوى من اللازم
٠٠ ولعله كان شديد المرارة ، لأنه لم يتناوله ، اليس
كذلك ؟

• لا ، ولكن هذا لم يكن السبب •

والتفت الى هيبوليت وقلت :

• هل لى أن أطلب بعض القهوة يامسيو دى فالى ؟
•• فى الحقيقة أعتقد ••

فقال هيلواز :

• لم يكن لدينا وقت لنفكر فى أى شىء أفضل ••
كان المقصود أن تبدو كحادث •• وإذا كان قد تناولها
ومات ، لما فكروا فى جريمة قتل •• الأقراس المنومة
•• والذكتور كان سيفكر أنه أخذها كحلوى ••
والأطفال يفعلون ذلك أحيانا •• ونوينا أن نتخلص من
بقية السكر المسموم ، ونترك قرصا أو اثنين بجانب
فراشه •• وكنت سأضع زجاجة الأقراس نصف فارغة
فى علبة على منضدة حجرة الدراسة ، حيث يمكن أن
يكون هناك اعتقاد بأنه عثر عليها وأكل نصفها •• وقد
يظن رجال الشرطة أنك كنت مهملة فقط ونسيتى أن
تعطيها لى ••

ومن خلفى ، قال راؤل :

• ماذا تقولين يا هيلواز ؟

فكرت قائلة بدون تعبير :

- استخدمنا اقراصى المنومة لتسميم فيليب . انها قوية جدا . . ليون قال انها كافية لقتل طفل . سحقناها وخلطناها مع السكر . . السكر التى تستخدمه الانسة مارتن لشيكولاتة فيليب . . ولكنه لم يشربها ، والحمد لله . .

فقال راؤل :

- واذا وضع اللوم على الانسة مارتن ؟ واذا كانوا قد شكوا فى جريمة قتل ؟ لقد عرفت ، اليس كذلك ، انها هى وانا . . هؤلاء الناس كانوا سيقولون ان لديها سببا فى ان تتمنى الموت لفيليب ؟ هل ذلك هو السبب الذى قال من اجله ابنى ان القصص التى قيلت عنا قد تكون مفيدة فيما بعد ؟

ولم تقل شيئا ، ورفعت بصرها محمقة فيه ،
وسالها :

- وفى مساء يوم الثلاثاء ياهيلواز ، من هو الذى اكتشف ان فيليب قد ذهب ؟

- ليون ، انه ظل مستيقظا . فكر فى ان فيليب قد قد شعر بالاعياء وذهب الى الانسة مارتن . ولكن

حجرتها كانت خاوية ، أيضا • ثم أرسل برنارد لِيُبحث
عنهما •

فقال راؤل :

– بهذه التعليمات ؟

• فلم تقل شيئا

– بتعليمات تؤكد على •• أنهما لا يعودان ؟
ولكنها لم تتكلم • لم تكن في حاجة لذلك • مرة أخرى
كانت الاجابة الفظيعة مكتوبة على وجهها !

فقال هيبوليت بخشونة :

– هذا يكفي يا راؤل •

فقال راؤل :

– نعم ، أعتقد هذا •

ومشى تاركا الحجرة وأغلق الباب من خلفه ،
فقامت هيلواز تقول :

– ليون •• لقد ذهب ليقتل ليون !

• ثم سقطت في اغماءة على السجادة بجانبى •

فتحسستها وهى فى مكانها ، ثم قفزت واقفة محمقة
بغباء فى الباب • ثم بدأ التليفون يرن •

وأسرعت فى اتجاه السلال • وصرخ وليم من
خلفى :

— لندا •• لندا ! أين أنت ذاهبة ؟ ابعدى نفسك
عن هذا !

وزمجر المحرك فى الخارج ، وانطلقت الكاديلاك ••
وركضت هابطة السلال منطلقة الى طريق دخول
السيارات •

وامسك وليم ذراعى وقال :

— وحق الله يالندا ••

— يجب أن نوقفه ! •• ألا تفهم ؟ •• لقد ذهب
ليقتل ليون •• سوف يصبح قاتلا ، وسوف ••

— ولكن لا شىء يمكنك أن تفعله • انك قلت بنفسك
أن الأمر انتهى •• وما شأنك أنت اذا قتلا بعضهما ؟

— أوه ، يا حبيبى يا الله ، وما شأنى ؟ وليم ، أرجوك
ساعدنى ، لا أستطع القيادة • أرجوك يا وليم ، أرجوك !

فقال بهدوء :

— حسن جدا ، هيا بنا !

أعتقد أن وليم كان سائقا ماهرا مثل راؤل . وفي الحال كنا خارج ثونون وفي الطريق المتجه الى فالى . ولكن راؤل كان قد بدأ قبلنا ببضع دقائق ، ومع سيارة أسرع . هل يمكننا أن نلحق به فعلا ؟

كنا على طريق الوادى المستقيم عندما قال وليم :

— ما كل هذا الذى يحدث يا لندا ؟

— ماذا تقصد ؟ أوه ، أنا أنسى دائما أنك لا تتكلم الفرنسية . . . ولا حتى شكرتك على المجيئ .

— لا تفكرى فى ذلك . . . ولكن يستحسن أن تشرحى لى ما هذا الذى يحدث . . .

وهكذا أخبرته القصة من البداية ، بينما كانت السيارة تزمجر فوق طريق الوادى .

ولم نر أضواء الكاديلاك الا بعد أن اقتربنا من جسر فالى ، وكانت الأضواء تتأرجح صاعدة المنطعات . على بعد كيلومتر واحد تقريبا .

واختفت أضواء السيارة عند القمة تحت النوافذ
الساطعة للقصر . وأبطأ وليم السرعة للصعود فوق
الجسر ، ثم توقف فجأة ، وقال :

- هل يمكن أن تمر سيارتان على ذلك الطريق ؟

- المنعطفات ؟ لا ، ولكن ..

ونظرت الى أعلى ورأيت سيارة أخرى بدأت في
النزول من القصر .. وكانت تقطع المنعطف الأول بحذر
.. وكنت أرتعد بشكل لا ارادي ، ولم أتمالك نفسي .
فصحت :

- أوه ، وليم !

فوضع ذراعا حولي :

- يافتاى العزيزة . لا تخافى ، ستهبط حالا ..
علينا أن نجلس فقط وننتظر ..

- طبعاً ، انك لست خائفاً ، اليس كذلك ؟

كانت عيناه رقيقتين وهو يقول :

- أما أنت فخائفة ؟ خائفة فعلاً ؟

ولم أجب . ورفعت بصرى الى قصر فالى المضاء

بشكل لامع وسط سماء الليل . نعم ، كانت قلعة احلام
.. لندا مارتن من لندن ليس لها مكان هناك ..

وأخيرا هبطت السيارة الأخرى ومرت من فوق
الجسر ، وأصبحنا فوق المنعطفات ، نسابق متسابقين
الطريق الصاعد بأقصى سرعة ممكنة ، والخوف الذى
كان يعض معدتى كان يعضها بحدة الآن .

وأوقف وليم السيارة عند الساحة الداخلية ، وراء
الكاديلاك مباشرة .. وأندفعت صاعدة السلالم الى
الباب الكبير ..

كان سيدون فى البهو ، فقال :

— أوه ، آنسة مارتن .. !

ولكنى تركته وركضت مسرعة فى الممر الطويل الى
المكتبة .

لم يكن هناك أى صوت داخل الحجرة .. ودفعت
الباب بلطف ، وأخذت خطوة للامام ، وتوقفت . كان
هناك رجال عديدون فى الحجرة ، ولكنى رأيت اثنين منهم
فقط .

كان راؤل دى فالى واقفا وظهره للباب ، محملا
الى أسفل فى أبيه .

وللمرة الأولى لم يكن ليون دى فالى فى كرسيه
المتحرك . لقد سقط للأمام وتمدد جسده على الأرض
بشكل حرج . كانت رأسه تأخذ وضعا جانبيا على
السجادة . وكان وجهه ناعما ، خاليا الآن من الجمال
ومن الشر على حد سواء . وكان يوجد فوق عينه
اليمنى ثقب صغير أسود .

وكدت أسقط على الأرض ، لولا أن ذراعى وليم قد
حاطتا به ، وحملنى خارج الحجرة الصامتة . !

الفصل الثانى والعشرون

— لنذا ٠٠ لنذا ٠٠ اشربى هذا !

فتحت عينى فرأيت وليم ممسكا بكوب ملآن يقربه
من شفتى ، وأخذت رشفة ٠٠ كان مذاقه فظيعا ، ولكنى
استظعت أن أشعر بالدفء يسرى فى جسدى ويعيده الى
الحياة ٠ خيل لى أنى محاطة بغلالة لامعة مزمجرة ٠

وانقشعت الغلالة بالتدريج ٠ كنت فى حجرة الجلوس
الصغيرة ، فوق الكنبه ، وكان وليم واقفا بجانبى ،
فسألنى :

— كيف تشعرين الآن ؟

فقلت في بؤس :

— أوه ، أحسن .. أحسن .. اننى أسفة ياوليم

اننى لم يغم على من قبل أبدا :

وجلس بجانبى .. وبدأت ذاكرتى تعمل مرة أخرى
الآن ، وقلت بالم :

— هل ذهبوا به .. ؟

— ليس بعد ..

— أريد أن أراه . لحظة واحدة فقط . ضرورى
فيدا مندهشا ، وقال :

١ — ولكن ياعزيزتى لندا ..

— متى سيأخذونه ؟

— رجال الشرطة مازالوا مشغولين . وعربة
الاسعاف فى الانتظار ..

— اسعاف ؟ هل هو أصيب ؟ ماذا حدث ؟

ونهضت جالسة وأمسكت ذراعه ، فرأيت عينيه
تبدوان مفجوعتين ، وقال :

- ولكن يالندا .. ألم تدركى انه ميت ؟

وأمسكت ذراعه باحكام أكثر ، ولا بد أنها آلمته ..

وقال وليم بهدوء :

- لقد أطلق النار على نفسه ، قبل حضورنا الى هنا أنا وأنت وراؤل بقليل ..

- أوه ! ليون ! ليون ! أطلق النار على نفسه . عربية الاسعاف من أجل ليون !

وأطلقت ضحكة صغيرة سخيفة ، ثم انفجرت في الدموع ..

لم يكن موقفا سهلا بالنسبة لشاب انجليزى خجول .. ولكن وليم تصرف بشكل لبق جدا .. وأعطانى مزيدا من هذا المشروب القظيع ، ووضع ذراعه الضخمة حولي ، وقال :

- فكرت أنك قد فهمت . كان السباقى يخبرنى بخصوص ذلك منذ قليل ، عندما أحضر البراندى لك . فكرت أنك سمعت ..

- كانت تبدو كأصوات فى حلم من الأحلام ..

وماذا قال سيدون ؟

— قال لي أنه ذهب ليطمئن على نار مدفأة المكتبة،
بعد الحادية عشرة مباشرة ، فوجد سيده ميتا على
الأرض . لم يسمع أحد الطلقة . واتصل بالشرطة
والدكتور ، ثم بفيلا أنا ، ولكن لم يرد عليه أحد هناك .

— لا بد أن هذا كان قبل وصولنا للفيلا . .

— أوه ؟ حسن ، استطاع أن يتصل بمسيو هيبوليت
فيما بعد . أعتقد أنها المكالمة الذي جاءت أثناء مغادرتنا
للفيلا . هيبوليت في طريقه الى هنا الآن .

فقلت :

— هل هم متأكدين أنه قتل نفسه ؟

— أوه ، تماما . كان المسدس في يده . . وهناك
رسالة ، حصلت الشرطة عليها . واعترف بالمحاولتين
الأولتين لقتل فيليب ، وقال أن برنارد كان يعمل معه .
ولكنه قال بوضوح تام أن لا زوجته ولا راول عرفا أي
شيء بهذا الخصوص . . وقال أيضا أنك لا بد قد
اكتشفت شيئا بطريقا ما ، وهربت مع فيليب لبر الأمان .
ولم يذكر حكاية السم الأخيرة . . أظن أنه لم يرغب
في توريط زوجته .

فقلت :

— حسن ، لن أخبرهم عنلي ٠٠ فانا لا أريد أن أزيد
الأمور سوءا بالنسبة لمدام دي فالى ٠٠ أنه مات الآن
٠٠ وعليها أن تعيش متحملة ذلك ٠

— كان هناك أمر آخر فى الرسالة بخصوص
برنارد ٠

فقلت ببطء :

— لقد بدأ برنارد يساعد راؤل طول اليوم ٠

— نعم ، ويبدو أنه أدرك أن ليون الآن لا يستطيع
أن ينفذ خطته ويدفع له مكافأته ، ولذلك قرر أن يبتزّه ٠
— يبتزّه !

— نعم ، ان هذا فى الرسالة ٠ جاء ليرى ليون من
ثلاث أو أربع ساعات ، وهدده بابلأغ الشرطة عنه ، اذا
لم يدفع له مبلغا من المال ٠٠ وهذا ربما ما جعل ليون
يقرر أن يقتل نفسه ٠ أقصد ، لا توجد نهاية للابتزاز ،
أليس كذلك ؟

فقلت بعد تفكير :

- نعم ، كان من النوع الذى لا يسمح لأحد أن
يبتزّه أبدا ، ويفضل الموت على ذلك ٠٠ ولكنى لا أعتقد
أن الأمر كان هكذا فقط ٠٠ أعتقد أنى عرفتّه معرفة
جيدة : أنه لا يحب أن يغلب على أمره ٠ جميعنا ٠
حتى فيليب ٠ عـرف ما قد فعله ٠٠ ولا أعتقد أن
يستطيع تحمل ذلك ٠ كان يحب أن يعتقد أنه أقوى من
أى شخص آخر ، وأنه يستطيع أن يلعب بالناس كما
يشاء ٠ لم يقدر أبدا على أن يأخذ المكان الثانى بعد
غيره ٠ أن يطلق النار على نفسه وينقذ هيلواز بالرسالة
٠٠ نعم ، هذا هو ليون دى فالى بالتّمام ٠

واسندت ظهرى على الكتبة وقالت :

- حسن ، لقد صنعت أفضل نهاية ، اليس كذلك ؟
هل قبضت الشرطة على برنارد ؟

- لا ، لقد اختفى ٠ فلنأمل أن ينجو بهروبه وبعد
ذلك لن تعرف بقية القصة أبدا ٠

- نعم ، بيرث الصغيرة المسكينة ، أو ، وليم ،
اننى متعبة جدا ٠

فبدا قلقا على ، وقال :

- هل تريدان الذهاب الآن ؟

– الذهاب ، الى أين ؟ انهم لم يرجحوا بى كثيرا
فى فيلا أنا ، وأتوقع فى يوم أو اثنين سسيرتب مسيو
هيبوليت لعودتى الى انجلترا .

فقال وليم :

– أوه ، هاهم رجال الشرطة ، أظن أنهم يريدون
استجوابك .

وعاملتنى الشرطة بلطف . لقد سمعوا كل القصص
عنى من الخدم المرعوبين ، ولكن رسالة ليون دى فالى
جعلت الأمر واضحا ولا مدعاة للشك فى .

وتركونى عندما وصل هيبوليت . ونهضت لأذهب
وأبحث عن بيرث ؟ ولكن فى تلك اللحظة دخل سيدون
بالقهوة . وأخبرنى أن رجال الشرطة قد عاملوها
برفق شديد ، وبعد استجوابها أرسلوها فى سيارة تابعة
لهم الى منزل أمها فى القرية . فاعتقدت أنها كانت
السيارة التى قد أخرجتنا عند المنعطفات . والآن كل ما
أرجوه أن تستطيع بيرث أن تنسى برنارد .

أنهيت قهوتى ورفعت بصرى لأرى هيبوليت داخل
الحجرة . وقبل أن أتكلم جاء الى الكنية ، وأخذ يدي
فى يديه وقبلهما ، وقال :

- هذا من أجل فيليب .. اننا مدينون لك بالكثير
يا آنسة مارتن .. لقد جئت الآن لأشكرك وأطلب منك أن
تغفري لى استقبالى السيء لك فى فيلا انا .

جلست بلا حراك أثناء حديثه معى ، وكان صوته
يشبه تماما صوت راؤل لدرجة أننى لم أسمع الكلمات .
ووعيت فجأة أنه قد ترك الماضى وكان يتحدث عن
المستقبل :

- فيليب سيبقى معى فى فيلا انا حاليا .. آنسة
مارتن .. هل يكون كثيرا لو أمل ، بعد تجربتك الفظيعة،
أن تبقى معه ؟

فحملقت فيه بغباء ، قبل أن أعى ما كان يطلبه
وقلت :

- أنا .. أنا لا أعرف .. فقط فى هذه اللحظة ..
- أدرك جيدا .. لم يكن لى حق أن أطلب منك الآن
.. انك تبدين مرهقة جدا يا طفلى .. يمكنك أن تفكرى
فيما بعد ..

وجاء صوت غريب من الممر ، صوت بطيء وثقيل .
عندئذ عرفت ماهو : ليون يغادر قصر فالى .

وقال هيبوليت :

— اذا فضلت الا تقضين الليلة هنا ، فهناك مكان
من أجلك حسب ما ترغبين في فيلا أنا ..

— أوه ، أشكرك ، نعم ، أود ذلك !

— اذن اذا أمكننا العثور على أحد ليأخذك الى
هناك .. ؟

ونظر الى وليم ، الذى قال فى الحال :

— طبعاً !

خرج هيبوليت من الحجرة •

وجاء وليم وجلس بجانبى على الكنبة ، وقال :

— لنذا ..

وأخذ يدى الباردتين فى يديه .. كانت يداه لطيفتين،
.. يدان ثابتتان ، حساستان ، وفجأة عرفت ما
أراد أن يقوله • فجلست أكثر اعتدالا ، ونظرت اليه فى
حزم ، وقلت :

- ولیم ، لقد كنت مذهشا • ماذا كنت سأفعل من
غيرك ، لقد كنت صديقي الوحيد •

فقال :

- الأصدقاء موجودون عند الحاجة •
وفهم ، فترك يدي ، ومرت لحظة سکون ••
ونفض قائلا :

- هل آخذك الى فيلا أنا الآن ؟

- لا ••• أنا ••• أنا ••• اعتقد سانتظر ••
تصبح على خير يا ولیم ، و •• شكرا !

الفصل الثالث والعشرون

ونسيت ولیم تقریبا بمجرد اغلاق الباب الامامی خلفه ٠٠ وخرج شخص ما من المكتبة ، واستطعت سماع هيپوليت وراؤل ، يتحدثان بهدوء في الممر ٠٠

فتحركات تجأت الباب ، مبتعدة عن الابصار ٠٠ كان هيپوليت يقول شيئا ما عن هيلواز ٠٠ سمعت بعض الكلمات : « تبقى بالبيت » و « قلب سييء » !

ووصلوا الى البهو ٠٠ وكان هيپوليت يقول له « تصبح على خير » • وترددت في الممر ، منتظرة أن يتركه هيپوليت • وكنت ارتعش ٠٠

وسمعت راؤل يسأل سؤالا ، ولم أستطع أن أسمع
اجابة سيدون تماما ، كانت تبدو مثل « ذهبت » .
ثم سمعت سؤالا آخر من راؤل ، وكانت اجابة سيدون
في هذه المرة أوضح :

— نعم ، ياسيدى . منذ بضع دقائق !

فقال راؤل في صوت جامد :

— فهمت ، شكرا ياسيدون !

عندئذ أدركت ما كان يسأله . فركضت في الممر
منادية :

— راؤل !

ولكن الباب الأمامى كان قد أغلق .

ثم وصلت البهو عندما سمعت صوت المحرك يبدأ ،

وقال سيدون مندهشا :

— لماذا يا آنسة مارتن ؟ لقد اعتقدت أنك ذهبت

مع مستر بليك !

فلم أجب ، واندفعت عبر البهو وخرجت في الظلام .

كانت الكاديلاك قد تحركت من قبل ، فناديت ثانية ،

ولكنه لم يسمع . وبدأت أجرى بلا جدوى . كنت مازلت
خلف السيارة بعشرين مترا عندما دلفت في أول منحني
من المنعطفات ، واختفت عن البصر .

إذا كنت قد توقفت لأفكر ، لما كنت قد فعلت ما فعلت
ولكن كان التفكير العاقل يعوزني آنئذ . كنت أعرف
فقط أن لدى شيئا ما لأقوله لراؤل .

واسستدرت بلا تردد وأخذت الممر الذي يفوص
بانحدار الى أسفل جانب التل ، تجاه جسر فالمي .
وكان الممر زلقا وفي الظلام يمكن أن يكون خطرا . ولم
أعبأ ، وكنت لا أزال أحتفظ بكشاف فيليب في جيبي ،
وبواسطة ضوءه الخافت ركضت هابطة السلالم عند قمة
التل .

وعند أول منعطف الى اليسار ظهرت أضواء
الكاديلاك . كان يقودها ببطء . واندفعت هابطة عبر
الغابة . وكان لا يزال تحتى عندما أخذ أول منحني ،
والثاني .

كان الممر يتلوى هابطا كالثعبان . وكانت أضواء
السيارة تضيء كل الغابة حاليا ، وبدأت ظلال الأشجار
وكانها تتحرك لتمسك بي . كان الجزء الثالث من
المنعطفات هو أطولها ، فكان الممر أكثر انحدارا هنا ،

وكدت أسقط عدة مرات .. وضربنى فرع شجرة فى وجهى ، ولكنى لم أعره انتباها ، وصرت تحته عندئذ .. واستطعت أن الحق به ..

وسقطت داخل الطريق فى نفس الوقت الذى كانت أضواء السيارة تكتسح المنحنى الأخير .. فأغلقت عيني وبسّطت يدي ..

وصرخت الفرامل والعجلات لتقف .. وفتحت عيني وأخذت ثلاث خطوات مرتعشة نحو السيارة ، واستندت جانبا وأنا أتصارع مع أنفاسى ..

وخرج من السيارة ، من الجانب الآخر . وفى ضوء السيارة الساطع بدا أطول كثيرا ، واستطعت أن أقول :

- 'كان يجب أن .. أراك !

فقال فى صوت خفيض :

- قالوا لى أنك قد ذهبت . أيتها الحمقاء الصغيرة ، كدت أن أقتلك !

- كان على أن أخبرك أننى كنت آسفة ، ياراول ! ولم يتكلم ..

- أنا لا أحاول أن أجد العذر لنفسى .. أنا أعرف

أنك لن تغفر لى لارتياضى فبك . . راؤل ، أريد فقط أن
تفهم قليلا . . لقد قالوا لى ، بوضوح تام ، أنك كنت
متآمرا مع الآخرين . . لقد قال برنارد ذلك لبييرث . .
أخبرها بأنك قمت باطلاق النار فى الغابة . . ولم أصدق
ذلك . . لم أستطع . . ولكن لم يكن هناك أى شىء يثبت
أنك لم تكن مشتركاً فى المؤامرة . . لا شىء ماعدا . .
الطريقة التى كنت أشعرها نحوك . .

وتوقفت محاولة أن أرى التعبير الذى على وجهه ،
ثم قلت :

– لقد مررت عبر الجحيم منذ مساء الثلاثاء .
كل شىء كان يتجه لاتهامك ، ولم أستطع أن أثق فى
أحاسيسى أكثر من ذلك . . ببساطة لم أستطع المجازفة
يا راؤل !

– كنت مستعدة للمجازفة . . ذات يوم . .

– من أجل نفسى ، نعم . . ولكن هذه المرة كان
فيليب . . لم أستطع أن أجازف بفيليب . . لم يكن هناك
شخص آخر ليهتم به . . كنت كل من لديه . . وغير
ذلك ، لم يكن مهما . .

– ما هو الذى لم يكن مهما . .

فقلت :

— انك كنت كل من لدى .

صمت آخر . . كان واقفا ساكنا جدا الآن ، ظلا وحيدا في ظلام مضاء بطريقة غريبة . . وفكرت فجأة أن هذه هي الطريقة التي سوف أتذكره فيها دائما : رجل يقف وحيدا ، مبتعدا عن كل الآخرين .

ولأول مرة ، بدأت أراه كما هو حقا ، لا كما يصوره خيالي الرومانتيكي . كان هذا هو راؤل ، الذي كان صبيا صغيرا وحيدا في منزل كان « ليس منزلا للأطفال » وكان شابا تعسا غير سعيد ، يقاتل بمرارة ضد أب قوى . . جامع ، ربما ، قاسى ، ربما ، ولكنه دائما وحيد . . **فقلت بلطف :**

— ماذا يمكن أن أقول عن أبيك ، سوى أنني آسفة ؟

فقال :

— هل تعتقدين حقا أنني كنت سأطلق النار عليه ؟

— لا ياراؤل !

برهة صمت ، ثم قال في صوت غريب جدا :

- أعتقد أنك تفهمين فعلاً .

- أعتقد أنني أفهم يا راؤل ، وأريدك أن تعرف ذلك ، ثم سأذهب . أحببتك طوال الوقت ، بدون توقف ، وأحبك الآن .

والتفت في اتجاه القصر .

- أين تذهبين ؟

- شخص ما سيأخذني إلى فيلا أنا . طلب مني عمك هيبوليت أن أذهب هناك .

- اركبي السيارة ، سأخذك إلى هناك . .

وعندما ترددت ، قال :

- ادخلي . إلى أين تعتقدين كنت ذاهبا ؟

- لا أعرف . . هل كنت ستذهب بعيداً ؟!

- كنت ذاهبا إلى فيلا أنا لأبحث عنك .

ولم أتكلم ، ولم أتحرك . . كان قلبي يدق بعنف عندما قال :

- لنذا . . !

وأصبح صوته مثلما كان دائما . . ودخلت ، ودخل
بجانبي . . كانت السيارة مظلمة من الداخل . وبدأ هو
ضخما ، وقريبا جدا . . كنت أرتعد . . ولم يتحرك
ليلمسنى . .

— لنذا ، هل تنوين أن تبقى في فيلا أنا لفترة مع
فيليب ؟

— لا أدري . لم أفكر في أمورى بعد . . اننى
مفرمة به جدا ، ولكن . . .

— سيكون وحيدا ، حتى مع هيبوليت . هل نأخذ
معنا في بلفين ؟

فقلت مبهورة لاهثة :

— راؤل ، راؤل ، لم أفكر . .

ورفعت يدي المرتعشتين الى وجهى .

— يا هذا يا حبيبتي ؟

فقلت وأنا داخل يدي :

— هل مازلت . . تريدنى ؟

— ونم يجب . . والتفت فجأة نحوى وشدنى اليه .

وما قلناه عندئذ أصبح من ذكرياتنا .. لقد تكلمنا لمدة
طويلة ..

وفيما بعد ، عندما أصبحنا قادرين على أن نضحك
ثانية ، قال :

- انك لم تجعليني أعترف لك ، يا حبيبتي لنذا .

- ماذا تقول ؟ تعترف بماذا ؟

- بأنى أحبك ، أحبك ، أحبك !

- أوه ، الى هذا الحد ؟!

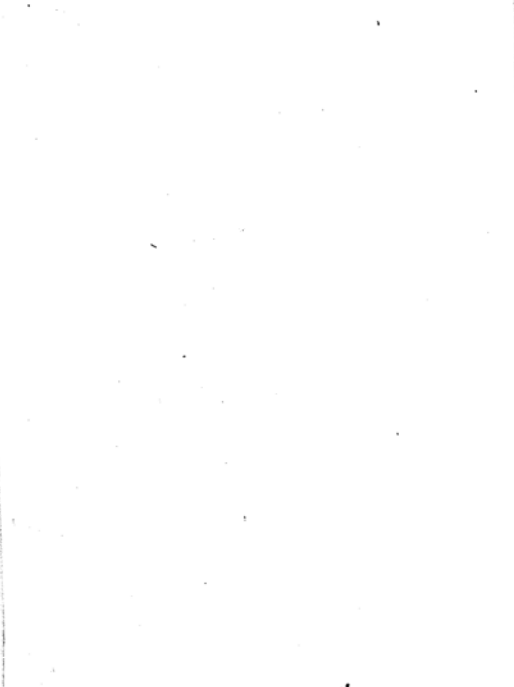
- نعم .. الى هذا الحد !

فقلت :

وأننا لك

وهبطت السيارة عندئذ بلطف وعبرت جسرا
فالى

اقرأ في هذه السلسلة



- ١ - أوليفر تويست :
تأليف : تشارلس ديكنز
- ترجمة : مختار السويفي
- ٢ - الآمال الكبرى :
تأليف : تشارلس ديكنز
- ترجمة : مختار السويفي
- ٣ - ثورة على السفينة بونتي :
تأليف : وليم بلاي
- ترجمة : مختار السويفي
- ٤ - مغامرات شيرلوك هولمز :
تأليف : سير آرثر كونان دويل
- ترجمة : محمد العزب موسى
- ٥ - المغامرات المرحية لروبن هود :
تأليف : هوارد بايل
- ترجمة : نادية فريد

- ٦ - الغاز :
تأليف : ادجار الان بو
ترجمة : نادية فريد
- ٧ - عائلة من سويسرا :
تأليف : يوهان فايس
ترجمة : سناء صليحة
- ٨ - مغامرات قوم سوير :
تأليف : مارك توين
ترجمة : مختار السويفى
- ٩ - مغامرات هكلبرى فين :
تأليف : مارك توين
ترجمة مختار السويفى
- ١٠ - رحلة كون تيكى :
تأليف : ثور هايردال
ترجمة : محمد العزب موسى
- ١١ - حكايات من شكسبير (١) :
تأليف : وليم شكسبير
ترجمة : الشريف خاطر

١٢ - المزيف :

تأليف : روبرت أونيل
ترجمة : صبرى الفضل

١٣ - المخطوف :

تأليف : روبرت لويس ستيفنسون
ترجمة : صبرى الفضل

١٤ - الفرسان الثلاثة :

تأليف : الكسندر دوماس
ترجمة : صبرى الفضل

١٥ - الأرض الطيبة :

تأليف : بيرل بك
ترجمة : صبرى الفضل

١٦ - حول العالم فى ثمانين يوما :

تأليف : جول فيرن
ترجمة : صبرى الفضل

١٧ - رحلة الى مركز الأرض :

تأليف : جول فيرن
ترجمة : صبرى الفضل

- ١٨ - سجين زندا :
تأليف : انتوني هوب
ترجمة : محمد العزب موسى
- ١٩ - أنا كارثينا :
تأليف : ليو تولستوى
ترجمة : محمد العزب موسى
- ٢٠ - جين اير :
تأليف : شارلوت برونتى
ترجمة : صبرى الفضل
- ٢١ - مرتفعات وذرنج :
تأليف : اميلى برونتى
ترجمة : صبرى الفضل
- ٢٢ - رجال عظام ونساء عظيمات :
تأليف : ليزلى ليفيت
ترجمة : مختار السويفى
- ٢٣ - دافيد كوبرفيلد :
تأليف : تشارلس ديكنز
ترجمة : مختار السويفى

- ٢٤ - حكاية مدينتين :
تأليف : تشارلس ديكنز
ترجمة : حسين البنهاوى
- ٢٥ - أوقات عصيبة :
تأليف : تشارلس ديكنز
ترجمة : د . على كامل شحاته
- ٢٦ - مذكرات بيكويك :
تأليف : تشارلس ديكنز
ترجمة : د . أنور شتا
- ٢٧ - توم جونز :
تأليف : هنرى فيلدنج
ترجمة : نادية فريد
- ٢٨ - الزنقة السوداء :
تأليف : الكسندر دumas
ترجمة : صبرى الفضل
- ٢٩ - بعيدا عن الناس :
تأليف : توماس هاردى
ترجمة : محمد عبد الحميد الجمال

٣٠ - العقل والعاطفة :

تأليف : جين أوستن

ترجمة : صبرى الفضل

٣١ - الكبرياء والهوى :

تأليف : جين أوستن

ترجمة : صبرى الفضل

٣٢ - حكايات من شكسبير (٢) :

تأليف : وليم شكسبير

ترجمة : الشريف خاطر

٣٣ - ذات الرداء الأبيض :

تأليف : ويلكى كولينز

ترجمة : نادية فريد

٣٤ - جزيرة الكنز :

تأليف : روبرت لويس ستيفسون

ترجمة : مختار السويفى

٣٥ - كنوز الملك سليمان :

تأليف : سير رايدر هاجارد

ترجمة : مختار السويفى

- ٣٦ - دكتور جيكل ومستر هايد •
تأليف : روبرت لويس ستيفنسون
ترجمة : مختار السويفى •
- ٣٧ - قلعة الخطر •
تأليف : ماري ستورات •
ترجمة : صبرى الفضل •
- ٣٨ - ابناء الغابة الجديدة
تأليف : كابتن رن ماريات
ترجمة : نادية فريد •
- ٣٩ - ثلاثة رجال فى قارب •
تأليف : جيروم ك • جيروم •
ترجمة : د • على كامل شحاتة •
- ٤٠ - جزيرة الكنز •
تأليف : روبرت لويس ستيفنسون •
ترجمة : مختار السويفى
- ٤١ - اللؤلؤة
تأليف : جون شتاينبك
ترجمة : محمد عبد الحميد الجمال

٤٢ - شجرة الجاكاراندا
تأليف : هـ . ا . بيتس
ترجمة : محمد عبد الحميد الجمال

٤٣ - كيبس

تأليف : هـ . ج . ويلز
ترجمة : عبد الغنى داود

٤٤ - من الأرض الى القمر

تأليف : جولفيرن
ترجمة : صبرى الفضل
تأليف : جولفيرن

٤٥ - أول رجال على سطح القمر

تأليف : هـ . ج . ويلز
ترجمة : صبرى الفضل

٤٦ - آخر أيام بومبى

تأليف : لورد ليتون
ترجمة : صبرى الفضل

١٤٤١
١٤٤١
١٤٤١

رقم الايداع ١٩٨٨/٨٢٣٥
الترقيم الدولي ٧ - ٢٠١٩ - ٠١ - ٩٧٧

١٥٤١
١٤٤١

الهيئة المصرية العامة للكتاب